

عنوان البيان في علوم التبيان

تأليف

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل

الشيخ محمد حسنين مخلوف

العدوي

(وكيل الازهر ومدير المعاهد الدينية سابقا)

الطبعة الاولى

(سنة ١٣٤٤ هـ)

مطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

(١) الرحمن علم القرآن . خلق الانسان علمه البيان . فله الحمد الوافى على مزيد نعمه . والشكر الكافى على وفير مننه . والصلاة والسلام على أشرف خلقه . وصفوة رسله . سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه .

(أما بعد) فهذه رسالة ممتعة . وأبحاث قيمة . تتعلق بالقرآن الكريم وضعتها فى شهر رجب سنة ١٣٤٠ هجرية و رتبتها على أربع مقالات وخاتمة

(الاولى) في بيان ما يطلق عليه اسم القرآن الكريم وكلام الله القديم

(الثانية) فى حكم تجويد القرآن وأركان تلاوته

(الثالثة) في جمع القرآن وكتابته بالخط العثمانى

(الرابعة) فى حكم ترجمة القرآن وكتابته وقراءته بغير اللغة العربية

(الخاتمة) فى الدعوة الى الاسلام وتبليغ أحكامه

وسميتها (عنوان البيان فى علوم التبيان)

ولما حدثت في هذه الايام ضجة بين الكتاب فى حكم ترجمة القرآن باللغات الاجنبية اختلفت فيها الآراء وتشعبت الاهواء حررت المقالة الرابعة والخاتمة من هذه الرسالة وأفردتها بالطبع فى شهر شوال سنة ١٣٤٣ ونشرتها بين أهل العلم وغيرهم بالقطر المصرى وخارجه . ثم حررت بقية المقالات فى شهر ذى القعدة سنة ١٣٤٣ وأفردتها بالطبع مستعينا بالله تعالى راجيا منه النفع بها فى الآخرة والاولى وهو حسبي ونعم الوكيل ؟

١٥ ذى القعدة سنة ١٣٤٣ — ٧ يونيه سنة ١٩٢٥

محمد حسنين مخلوف العدوى

المقالة الاولى

فيما يطلق عليه لفظ القرآن الكريم وكلام الله تعالى

---

(٢) معنى القرآن فى اللغة

اعلم أن لفظ القرآن فى الاصل وصف أو مصدر مشتق من القرء بمعنى الجمع كما قال الزجاج واللحيانى سمى به كلام الله تعالى

قال أبو اسحاق النحوى سمي كتاب الله تعالى الذى أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم قرآنا لانه يجمع السور.

وقال ابن الاثير تكرر فى الحديث ذكر القراءة والاقتراء والقارئ والقرآن والاصل فى هذه اللفظة الجمع وكل شيء جمعته فقد قرأته وسمى القرآن قرآنا لانه جمع القصص والامر والنهى والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها الى بعض وهو مصدر كالغفران والكفران والاقتراء افتعال من القراءة وقد تحذف الهمزة منه تخفيفا فيقال قران اه

وقال قوم منهم الاشعرى كما في الاتقان ان القرآن مشتق من قرنت الشيء بالشيء اذا ضممت بعضه الى بعض وسمى به لقران السور والآيات والحروف فيه وقيل القرآن مشتق من القرائن لان الآيات فيه يصدق بعضها بعضا فهي قرائن . وعلى هذين القولين هو بلا همز ونونه أصلية

قال الزجاج هذا غلط والصواب ان ترك الهمزة فيه من باب التخفيف ونقل حركتها الى ما قبلها فهو عنده وصف مهموز على فعلان مشتق من القرء بمعنى الجمع لانه جمع السور كما قال أبو عبيدة أو ثمرات الكتب السابقة

كما قال الراغب وعند اللحياني وجماعة هو مصدر كالغفران سمي به المقروء ، تسمية المفعول بالمصدر كما في اللسان وغيره وذكر صاحب الاتقان ان الله تعالى سمى القرآن بخمسة وخمسين اسما سماه كتابا مبينا الى آخر ما ذكره

(٣) معنى القرآن فى اصطلاح أهل الاصول

والاسم العلم منها هو القرآن فهو فى الاصل وصف أو مصدر جعل علما على الكلام المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كما ذهب اليه الشافعى رضى الله عنه ومحققو الاصوليين وحدوه تارة باللفظ المنزل للاعجاز بسورة منه . وتارة بما نقل بين دفتي المصحف تواترا . وتارة باللفظ المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للاعجاز بسورة منه والتعبد بتلاوته لتصوير مفهومه لا لبيان حقيقته لان التعريف لا يكون الا للحقائق الكلية .

وقيدوه بالمصحف لان الصحابة رضوان الله عليهم على ماسيأتى بالغوا فى أن لا يكتب فيه ماليس منه مما يتعلق به حتى النقط والشكل واحتاطوا فى ذلك حتى جردوه من كل مايخالف شكله كى لا يختلط به غيره ونقل الينا متواترا فعلم أن المكتوب فى المصاحف المتفق عليها من الصحابة هو القرآن وماهو خارج عنها ليس بقرآن اذ يستحيل فى العرف والعادة مع توفر الدواعى على حفظه وضبطه ان يهمل بعضه فلا ينقل أو يخلط به ما ليس منه

وهو علم شخصى على مايصدق عليه هذا المفهوم من أول سورة الحمد الى آخر سورة الناس عند الاصوليين والفقهاء وأهل العربية الباحثين عن أقواله المحتجين بابعاضه وأجزائه وانما حدوه بما ذكر من أوصافه مع تشخصه لضبط أجزائه وتميزه عما لا يسمي باسمه من الكلام كالتوراة والانجيل والاحاديث النبوية والقدسية وما نسخت تلاوته

وعلميته اما باعتبار أول نزوله أى تشخصه باول محل وجد فيه ولا التفات لتعدده بتعدد المحال الطارىء بعد ذلك فهو واحد أينما حل وكان التشخص الذى وضع العلم باعتباره غير داخل فى المسمي

أو باعتبار وضعه المؤلف المخصوص الذى لا يختلف باختلاف المتلفظين به للقطع بأن مايقرؤه كل واحد منا هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بلسان جبريل عليه السلام . ولو كان عبارة عن ذلك الشخص القائم بلسان جبريل فقط لكان مايقرؤه غيره مماثلا له لاعينه ضرورة ان الاعراض تتشخص بمحالها فتتعدد بتعدد المحل ومن نظر الى ذلك جعله علم جنس وقيل هو موضوع للقدر المشترك بين المجموع و بين اجزائه فسماه كلى كالمشترك اللغوى وقيل هو موضوع لكل واحد منهما بوضع فيكون مشتركا لفظيا وعبارة التلويح محتملة لهذين المعنيين حيث قال ثم كل من الكتاب والقرآن يطلق عند الاصوليين على المجموع وعلى كل جزء منه لانهم انما يبحثون عنه من حيث أنه دليل على الحكم وذلك آيه لامجموع القرآن فاحتاجوا الى تحصيل صفات مشتركة بين الكل والجزء مختصة بهما لكونه معجزا منزلا على الرسول مكتوبا فى المصاحف منقولا بالتواتر فاعتبر بعضهم في تفسيره جميع الصفات لزيادة التوضيح و بعضهم الانزال والاعجاز لان الكتبة والنقل ليسا من اللوازم لتحقق القرآن بدونهما فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم و بعضهم الانزال والكتبة والنقل لان المقصود تعريف القرآن لمن لم يشاهد الوحي ولم يدرك زمن النبوة وهم انما يعرفونه بالنقل والكتبة فى المصاحف ولاينفك عنهما فى زمانهم فهما بالنسبة اليهم من أبين اللوازم وأوضحها دلالة على المقصود بخلاف الاعجاز فانه ليس من اللوازم البينة ولا الشاملة لكل جزء اذ المعجز هو السورة أو مقدارها اه

ومن اقتصر على الاعجاز نظر الى أنه الوصف الذاتى والآية المصدقة للرسول المثبتة لرسالته صلى الله عليه وسلم أو قرآنيته وان كان الاعجاز ليس بجميع ابعاضه بل باى سورة منه أو قدر اقصر سورة من آيه

(٤) معنى القرآن عند المتكلمين

ويطلق القرآن عند المتكلمين كما فى الالوسي وغيره على الكلمات الغيبية الازلية من أول الفاتحة الى آخر سورة الناس وهى الالفاظ الحكمية المجردة عن المواد مطلقا حسية كانت أو خيالية أو روحانية المترتبة بصفته تعالى القديمة من غير تعاقب فى الوضع العلمي تحقيقا بل تقديرا عند تلاوة الالسنة الكونية الزمانية وهو بهذا المعنى متصف بكونه منزلا على النبى صلى الله عليه وسلم

(٥) معنى انزال القرآن

ومعنى تنزيله مع كونه نفسيا أزليا اظهار صورته فى المواد الروحانية والخيالية والحسية اذ لا معنى لانزال الكلام النفسي الا انزال صورته الا ترى أن ما فى النفوس البشرية من الكلام النفسي المرتب بملكاتهم انما يظهر فى مقاطعهم وعلى ألسنتهم بصورته الحرفية الصوتية وكلماته المسموعة المقروءة واما ذاته فلا تزال قائمة بالنفس باقية بها لا تنتقل اذ هى عرض والاعراض لا يجوز عليها الانتقال فمعنى ذكر الكلام النفسي وابرازه وانزاله اظهار صورته اللفظية فى الحروف والكلمات المذكورة المنزلة

ومن هنا قال أهل السنة القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق وهو مكتوب فى المصاحف محفوظ فى الصدور مقروء بالالسنة مسموع بالآذان غير حال فى شىء منها وهو فى جميع هذه المراتب قرآن أيضا حقيقة شرعية معلوم من الدين بالضرورة أى ان لفظ القرآن كما يطلق على الكلمات الغيبية الازلية

يطلق حقيقة شرعية بل وعرفية ولغوية أيضا على صورها الكونية المتجددة التي هي مظاهر تلك الكلمات الغيبية المنزلة فى هـذه المراتب الحادثة من غير حلول فيها ولا انفصال عن ذاته المقدسة وهذه الصور الكونية هى التى أطلق عليها لفظ القرآن علما شخصيا بدون التفات الى تعددها أو جنسيا كما تقدم ومعنى كونها منزلة على النبي صلى الله عليه وسلم أى على لسان جبريل ، أو فى اللوح المحفوظ أنها منشأة ومتجددة بذاتها أو بحروفها وكلماتها فى قلوبهم وألسنتهم ومجعولة برقومها فى اللوح كما يخلق الله الكلام اللفظي فى ألسنتنا والكلمات النفسية فى صدورنا

(٦) لا يقال ان القرآن حادث أو مخلوق

ومع ذلك لا ينبغي أن يقال ان القرآن بهذا المعنى حادث أو مخلوق تحاشيا من الذهاب الى المعنى القديم وفى مقام التعليم ينبغي الاشارة اليه بقدر ما تقتضيه ضرورة التفهيم كما وقع لابن عباس رضى الله عنهما فقد أخرج ابن مردويه عن طاووس قال جاء رجل الى ابن عباس من حضرموت فقال له يا ابن عباس أخبرنى عن القرآن الكلام أمن كلام الله تعالى ام خلق من خلق الله سبحانه وتعالى قال بل كلام من كلام الله تعالى أو ما سمعته سبحانه يقول وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله فقال له الرجل أفرأيت قوله تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا قال كتبه الله تعـالى فى اللوح المحفوظ بالعـربية اما سمعت الله تعالى يقول بل هو قرآن مجيـد في لوح محفوظ اه فانظر الى ابن عباس رضي الله عنهما كيف افهم الرجل الحضرمى وأجابه عن سؤاله وحاصله أنه يقال القرآن من كلام الله تعـالى ولا يقال أنه خلق من خلقه وما ورد عن الله تعالى من كونه مجعولا نقول فيه أنه مكتوب أو مثبت في اللوح المحفوظ ولا نقول مخلوق أو محدث لان القرآن اللفظي صورة تجلى

فيها الكلام النفسى كما تجلي جبريل عليه السلام فى صورة دحية الكلبي وذاته لم تفارق سدرة المنتهي وكما يتجلى الحق جل شأنه يوم القيامة فى الصور المعروفة وغير المعروفة من غير حلول وأتحاد وهو جل شأنه متعال عن الصور والامثال فكما لا يقال فى الصور التي يتجلي فيها الحق جل شأنه أنها خلق من خلقه سبحانه كذلك لا يقال للصور التي تجلي فيها القرآن القديم انها خلق من خلقه وانما هو كلام من كلامه المنزه عن المثيل فان نسبة كلام البشر الى تلك الصور القرآنية كنسبة صفاتهم الى صفاته القديمة إن كان بين النسبتين بون بعيد فلذا قابل السائل بينهما حيث قال أمن كلام الله تعالي ام خلق من خلق الله سبحانه واجابه حبر الامة كذلك بانه من كلام الله لا خلق من خلقه فافهم الاعرابى كلامه بكلامه تعالى ففهم وسكت فما ألطف البيان بالتبيان وسبحان الفتاح العظيم وهل أراد ابن عباس رضي الله عنهما أن القرآن الكلام وان كان خلقا من خلق الله تعالي ومجعولا أى مخلوقا لا يطلق عليه ذلك أدبا وتحاشيا من الذهاب الى القديم وهو الظاهر أو اراد نفى كونه مخلوقا لانه صورة كلامه القديم ودال عليه ومجلى لصفته النفسيه والمخلوق من جوهر وعرض لا يكون كذلك بل هو أثر مباين لذاته تعالى وصفاته ليس له من الاختصاص بهما ما للقرآن الكلام من الاختصاص بصفته الازلية وكلماته الغيبية والخلق انما يطلق شرعا وعرفا على الاثر المباين لفاعله دون المجلى والمظهر الدال على ذاته اوصفته وقد يشير الى هذا قوله خلق من خلقه أى من جنس مخلوقاته المباينة له التى ليست بمثابة القرآن في النسبة اليه تعالى ولذا يقال له وهو فى هذه المرتبة كلام الله كما يقال لكلامه النفسي ووصفه بالمحدث أى المتجدد فى قوله تعالى (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا أستمعوه وهم يلعبون) ليس باعتبار نفسه وانما هو باعتبار تنزيله لان الغرض من الآية بيان أنه كلما

تجدد لهم التنبيه والتذكير وتكررت على أسماعهم كلمات التخويف والتحذير لا يزيدهم ذلك الا نفورا واعراضا لاان ذلك المنزل حادث أو قديم كما لا يخفي على ذى فهم مستقيم وما ورد ان الله خلق آدم على صورته فليست الصورة فيه من قبيل صورة الكلام اللفظى للكلام النفسي بل معناه أنه خلقه جامعا لصفات الكمال من حياة وعلم وقدرة وارادة وكلام وسمع وبصر وليست هذه في آدم عليه السلام ولا فى غيره من ذريته مهما بلغ من الكمال مجالى لصفاته تعالى وصورة لها دالة عليها دلالة القرآن الكلام على صفته النفسية وكلماته القدسية بل هي من اثاره الكونية وان كانت مظهر اسمائه وصفاته بمعنى متعلقها الجلى على ان الامام تاج الدين ابن السبكي نقل عن أبى عاصم ان محمد بن اسحاق بن خزيمة المولود سنة ٢٢٣ قال في معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته فيه سبب وهو ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يضرب وجه رجل فقال لا تضرب على وجهه فان الله خلق آدم على صورته وكذلك قاله أبو على بن أبى هريرة فى تعليقه اه

وقول أهل السنة القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق وهو مكتوب فى المصاحف الخ دال على ان تنزل القرآن القديم فى تلك المظاهر غير قادح فى قدسيته لكونه غير حال فى شيء منها مع كون كل منها قرآنا حقيقة شرعية بلا شبهة كما ذكره الالوسي وغيره وقد أشار فى اليواقيت والجواهر الى تنزل الكلام فى الصور اللفظية حيث قال فان قلت فما مثال الوحى اذا ظهر لنا بالالفاظ فالجواب أن مثال ظهور الوحى بالالفاظ مثال ظهور جبريل عليه السلام فى صورة دحية فان جبريل حين ظهر فيها لم يكن بشرا محضا ولا ملكا محضا فكما تبدلت صورته في أعين الناظرين ولم تتبدل حقيقته التي هو عليها فكذلك الكلام الازلى والامر الاحدى يتمثل بلسان العربى تارة و بلسان العبرى تارة و بلسان السريانى أخرى وهو فى ذاته أمر واحد ازلى اه

ومثل ذلك ظهور الـكلام النفسي فى الصور الكتابية والخيالية ومن هنا يتبين معنى ظهور القرآن فى صورة الرجـل المشاحب يلقي صاحبه حين ينشق عنه القبر وظهوره خصما لمن حمله مخالفا امره كما ذكره العلامة الالوسي وغيره

(٧) اطلاق القرآن علي الصفة القديمة

و يطلق القرآن ايضاً عند المتكلمين على الصفة القـديمه باعتبار تعلقها بكلماته الغيبية أى ترتيبهـا أزلا وتعلقها بمعانى تلك الكلمات التى هي معانى صورها المنزلة المسمى كل من تلك الكلمات والصور قرآناً كما أنها تسمى توراة وانجيلا وزبوراً بهذا الاعتبار ولفظ كلام الله تعالى يطلق على مايطلق عليه لفظ القرآن من اللفظ المنزل ومن الكلمات الغيبية الازلية وعلى الصفة القديمة التى ليست من جنس الحروف والاصوات أصلا بل هى واحدة بالذات تتعدد تعلقاتها المعنوية الازليه حسب تعدد المتكلم به من الكلمات الغيبية الازلية كما تتعدد تعلقاتها التنجيزية الاضافية الحادثة حسب تعدد تنزلاتها الكونية فى عالم المواد والصور وهى بالاعتبار الاول متنوعة أزلا الى أمر ونهي وخبر واستخبار .

وبالاعتبار الثانى متنوعة فيما لا يزال الى ذلك والخلاف المشهور فى كون الـكلام متنوعاً فى الازل أو فيما لا يزال منظور فيـه للصفة القديمة باعتبار تعلقها بالاشياء أى دلالتها عليها من حيث كونها خبرا أو استفهاماً أوامراً أو نهياً الى غـير ذلك وأما الـكلام النفسى بمعنى الكلمات الغيبية أو بمعنى الصفة القديمة من حيث تعلقها بتلك الكلمات وترتيبها لها فلا نزاع فى تنوعه أزلا كما أنه لا نزاع فى أن الـكلام النفسي باعتبار تعلقـه التنجيزى ليس متنوعاً أزلا

(٨) اطلاق القرآن وكلام الله تعالى على ما بين دفتى المصحف

وكلام الله تعالى كالقرآن يطلق ايضاً شرعا على ما بين دفتي المصحف من الرقوم الدالة عليه ومعنى كونها قرآناً أنها دالة عليه لا أنها نفس القرآن لان القرآن اما الصفة القديمة او الكلمات الغيبية أو النظم المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فان الله سبحانه وتعالى كما هو متكلم بالوحي بكلام حقيقي حروفه عارضة للصوت وذلك يسمى قرآنا حقيقة شرعية كما يسمي كلام الله تعالى كذلك متكلم بكلام حقيقى حروفه ليست عارضة للصوت الحادث يسمى قرآنا كما يسمى كلام الله تعالى والاول لفظ حقيقى لا تجتمع أجزاؤه في الوجود والثانى لفظ حكمى لا تعاقب فيه بل أجزاؤه مجتمعة فى الوجود وهو الكلام النفسي الحقيقى والاول صورة له ومظهر من مظاهره التى يتجلى فيها كلامه الحقيقى ووصفه القديم الازلى وهو الملفوظ باللفظ الخارجى الذى هو الصورة الحادثة وان كنا لا نطلق عليه ذلك كما تقدم

(٩) (انزال القرآن)

تقدم ان القرآن يطلق على الكلمات الغيبية الازلية وعلى الصفة القديمة القائمة بذاته تعالى وأنه بهذا المعنى يتصف بالانزال والنزول ومعنى انزاله اظهاره من عالم الغيب الى عالم الشهادة باظهار صورته الكونية لدى السفرة أو فى اللوح المحفوظ أو على قلب النبى صلى الله عليه وسلم كما يطلق على تلك المراتب المتجددة والصور الكونية الظاهرة و يتصف أيضا بالانزال والنزول والكتابة والقرآءة بمعنى اظهار ذاته لا اظهار صورته قال الاصفهاني فى أوائل تفسيره كما نقله عنه صاحب الاتقان اتفق اهل السنة والجماعة على ان كلام الله منزل واختلفوا فى معنى الانزال فمنهم من قال اظهار القراءة

ومنهم من قال ان الله تعالى ألهم كلامه جبريل وهو فى السماء وهو عال عن المكان وعلمه قراءته ثم جبريل أداه فى الارض وهو يهبط فى المكان وفى التنزيل طريقان أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة البشرية الى صورة الملكية واخذه من جبريل والثانى ان الملك انخلع الى البشرية حتى يأخذه الرسول منه والاول اصعب الحالين اه

وقال القطب الرازى فى حواشي الكشاف والانزال لغة بمعنى الايواء وبمعنى تحريك الشيء من العلو الى أسفل وكلاهما لا يتحقق فى الكلام فهو مستعمل فيه في معنى مجازى فمن قال القرآن معنى قائم بذات الله تعالى فانزاله أن يوجد الكلمات والحروف الدالة على ذلك المعنى ويثبتها فى اللوح المحفوظ ومن قال القرآن هو الالفاظ فانزاله مجرد اثباته فى اللوح المحفوظ وهذا المعنى مناسب لكونه منقولا عن المعنيين اللغويين ويمكن ان يكون المراد بانزاله اثباته فى السماء الدنيا بعد الاثبات فى اللوح المحفوظ وهذا مناسب للمعنى الثانى والمراد بانزال الكتب على الرسل أن يتلقفها الملك من الله تلقفاً روحانياً أو يحفظها من اللوح المحفوظ وينزل بها ويلقيها عليهم اه والتلقف الاخذ بسرعة ومعنى التلقف الروحانى أن يحصل له قرب واتصال روحانى فينتقش فى ذاته لا من طريق السمع والكلام الذى اراد الله ارساله للرسول ويلهمه بوحيه اليه وقيل الانزال بسماع الحروف والاصوات من جميع الجهات خلاف العادة أو سماع كلامه تعالى بلا صوت على رأى من جوز سماع الكلام النفسي كما نقله عبد الحكيم عن البيضاوى فى حواشيه بعد أن حكى القولين السابقين

(١٠) اثبات القرآن فى اللوح المحفوظ

والقرآن أثبت فى اللوح المحفوظ بصورة كتابية لا يعلم وقت اثباته

ولا يدرك كنه حقيقته الا الله تعالى ومن أطلعه على غيبه ممن ارتضى من ملك أو رسول (حتى ذكر بعضهم أن أحرف القرآن فى اللوح المحفوظ كل حرف منها بقدر جبل قاف وأن تحت كل حرف منها معانى لا يحيط بها الا الله ومثل هذا لا يدرك الا بالكشف أو الوحي)وليس بمستغرب فان من وقف على ما تقرر فى علم الهيئة من التفاوت الشاسع بين خلق العالم العلوى من أفلاك وكواكب وبين خلق العالم السفلي من أرض وبحار وحيوان ونبات لا يستغرب هذا التقدير فيما يكتب في اللوح المحفوظ الذى هو فوق الكرسى وتحت الفلك الاعظم المعبر عنه فى لسان الشرع بالعرش وقد اخرج ابن جرير وابو الشيخ وابن مردويه عن أبى ذر أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الكرسي فقال يا أبا ذر ما السموات السبع والارضون السبع عند الكرسي الا كحلقه ملقاة بأرض فلاة وأن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة وروى عن ابن عباس أن اللوح المحفوظ من درة بيضاء طوله ما بين السماء والارض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وهذا كغيره مما جاء فى هذا الباب بيان منه صلي الله عليه وسلم لقوله تعالى وسع كرسيه السموات والارض وهو تقريب وتمثيل والا فالعرش واللوح والكرسى والعلم والسموات السبع لا يدرك قدرها ولا يحيط بها الا العلى العظيم والمراد بالمعانى المنطوية تحت حروف القرآن العظيم ما يشمل المعانى الاشارية التى يلهمها الله تعالى لاوليائه وأصفيائه والمعاني النظرية التى يدركها من القرآن من لطف ذهنه واستقام فهمه واستضاء بنور العلم والدين

(١١) (انزال القرآن الى سماء الدنيا)

ثم أنزل من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا بالبيت المعمور وهو بيت العزة محل فى سماء الدنيا مسامت للكعبة بحيث لو نزل لنزل عليها ثم نزل منجما

على النبي صلى الله عليه وسلم في عشرين أو ثلاث وعشرين او خمس وعشرين سنة واختلف في انزاله من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا على ثلاثة أقوال كما في الاتقان وغيره أحدها أنه نزل ليلة القدر جملة واحدة الى سماء الدنيا ثم نزل الى النبي صلى الله عليه وسلم منجما وثانيها أنه نزل الى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدر أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين في كل ليلة مايقدر الله انزاله في السنة ثم نزل بعد ذلك منجما في جميع السنة وثالثها أنه ابتدئ بانزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفة من سائر الاوقات وبه قال الشعبي قال ابن حجر في شرح البخاري والاول هو الصحيح المعتمد بل حكي بعضهم الاجماع عليه وكان عليه الصلاة والسلام يأتيه الوحي بالقرآن أحيانا في مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه وأحيانا في صورة رجل فيكلمه وهو أهون عليه كما قال صلي الله عليه وسلم وقد سئل عن الوحي أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عني وقد وعيت ماقال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا يكلمني فأعي مايقول وأحيانا كان ينفث في روعه الكلام نفثا وأحيانا يأتيه الملك في النوم ومن هذا سورة الكوثر كما قيل وأحيانا يكلمه الله اما في اليقظة كما في ليلة الاسراء أو في النوم كما في حديث معاذ أتاني ربي فقال فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث

وقال في الاتقان وليس في القرآن شيء من هذا النوع فيما أعلم نعم يمكن أن يعد منه آخر سورة البقرة كما تقدم وبعض سورة الضحى وألم نشرح الى آخر ماذكره فراجعه ثم قال أبو شامة فان قيل ما السر في نزول القرآن منجما وهلا نزل كسائر الكتب جملة قلنا هذا سؤال قد تولى الله جوابه فقال تعالى وقال الذين كفروا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة يعنون كما أنزل على من قبله من الرسل فأجابهم تعالى بقوله كذلك أي أنزلناه كذلك

مفرقا لنثبت به فؤادك أى لنقوى به قلبك فان الوحى اذا كان يتجدد فى كل حادثة كان أقوى للقلب وأشد عناية بالمرسل اليه و يستلزم ذلك كثرة نزول الملك اليه وتجدد العهد به و بما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة ولهذا كان أجود ما يكون فى رمضان لكثرة لقياه جبريل حتى كان يعارضه القرآن كل سنة فى شهر رمضان مرة فلما كان العام الذى قبض فيه عارضه مرتين وهذه العرضة الاخيرة هي التي عليها قراءة الناس اليوم كما جاءت به الآثار وأجمع الناس عليها وعليها كانت كتابة المصاحف العثمانية باجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

والمستفاد من الاحاديث الصحيحة وغيرها أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آيات وعشر آيات وأكثر وأقل وقد صح نزول العشر آيات فى قصة الأفك جملة وصح نزول عشر آيات من أول المؤمنين جملة وصح نزول غير أولى الضرر وحدها وهى بعض آية وكذا قوله تعالى وان خفتم عيلة الى آخر الآية نزلت بعد نزول أول الآية

(١٢) (اعجاز القرآن فى أسلوبه العربى)

ثم القرآن فى مرتبة نزوله الى الالفاظ الحقيقية العربية هو المعجز أى أنه في هذا الاسلوب العربى معجز وتنزله فى مراتبه الحادثة لايخرجه عن كونه منسوبا اليه تعالى وأنه كلامه كما تقدم أما في مرتبة الخيال فلقوله صلى الله عليه وسلم أغنى الناس حملة القرآن من جعله الله تعالى فى جوفه واما فى مرتبة اللفظ المسموع فكقوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يسمعون القرآن واما فى مرتبة الكتابة فكقوله تعالى بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ والصحيح ان جميع كلمات القرآن المنزلة على النبي صلى الله عليه وسلم

عربية وان نحو ناشئة الليل وأؤبي معه وسجيل واستبرق وقسورة من الاحرف التى اتفق فيها الفاظ العرب وغيرها من بعض أجناس الامم قال الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ وليس بمستنكر أن يكون من الكلام ما يتفق فيه ألفاظ جميع أجناس الامم المختلفة الالسن بمعنى واحد فكيف بجنسين منها كالفرس والعرب وفى هذه الحالة يصح النسبة الى كلتا اللغتين أو اللغات لان من نسب شيئا من تلك الى لغة لم ينف بنسبته اياه الى ما نسبه اليه أن يكون من لغة أخرى وانما يكون الاثبات دليلا على النفى فيما لايجوز اجتماعه من المعانى اه

وفى كثير من اللغات الحية الفاظ مشتركة ترجع فى وضعها الى الاصل الذى تفرعت منه هذه اللغات وقد تشترك هذه اللغات فى مادة الكلمة ولكنها تختلف فى هيئتها تبعا للاستعمال وصقل الالسنة كما يوجد ذلك كثيرا فى الكلمات المعربة التى أخذها العرب من الفارسية وصقلوها بالسنتهم وأجروا عليها خصائص لغتهم

(١٣) (القرآن عربي بالنص)

وكونه مجعولا عربيا بالنص كما قال الله تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا فالاسلوب العربى معتبر في مفهومه بل لايطلق اسم القرآن معرفا شرعا الا على اللفظ العربى المعجز فاذا كان غير عربى أو عربيا غير معجز لايسمى قرآنا بالتعريف نعم اطلاق القرآن على الالفاظ الحقيقية العربية المعجزة انما هو من حيث دلالتها على المعنى المستفاد فهو اسم للنظم العربى الدال على المعنى المنزل للاعجاز والتدبر والتذكر كما أن القرآن بمعنى الكلمات الغيبية اسم للالفاظ الحكمية الدالة على المعنى ومن هنا قال بعض المحققين القران اسم لمجموع النظم والمعنى المستفادفمجرد النظم لايسمى قرآنا كما أن المعنى

لا يطلق عليه اسم القرآن الا على ضرب من التجوز واقامة المعنى مقام اللفظ ومنه قوله تعالي وانه لفى زبر الاولين وفيها المعنى دون اللفظ أطلق عليه اسم القرآن لانه الركن المقصود حتى جعل كانه القران ووصف بكونه فى زبر الاولين لا لان المعنى يسمى قرآنا حقيقة لمخالفته للنصوص القطعية والاجماع علي أن القرآن اسم للنظم العربى الدال على المعنى المستفاد فلا يتناول الا ما نزل به الروح الامين من النظم المعجز ولادلالة فى الآية على أن القرآن يطلق على غير الاسلوب العربى من أى لغة كانت اما على أن المراد بقوله وانه لفى زبر الاولين ان ذكر القرآن فى الكتب المتقدمة بناء علي ان الضمير للقرآن والكلام على حذف مضاف وهذا كما يقال ان فلانا فى دفتر الامير فظاهر وأما على ان المراد به أن معناه فى الكتب المتقدمة فليس فيه الا اطلاق اسم القرآن علي المعنى دون أطلاقه علي ترجمته باسلوب آخر وقد علمت وجهه وانه على ضرب من التجوز وفى الكشف ان القران ان كان هو المنزل للاعجاز الي آخر ما يذكر فى معناه فلا شك ان الترجمة ليست بقرآن وان كان هو المعنى القائم بصاحبه فلا شك أنه غير ممكن القراءة فان قيل هو المعنى المعبر عنه بأى لغة كانت قلنا لا شك فى اختلاف الاسامى باختلاف اللغات فكما لا يسمى القرآن بالتوراة لا تسمى التوراة بالقرآن فلاسماء لخصوص العبارات فيها مدخل لا أنها لمجرد المعنى المشترك اه

نعم لفظ قرآن منكرا لم ينقل من معناه اللغوى فيتناول كل مقروء بأى لغة كانت كما يشهد له قوله تعالى (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى) فانه يستلزم تسميته قرآنا أيضا لو كان

أعجميا فليس لخصوص العبارة العربية مدخل فى تسميته قرآنا بالتنكير بخلاف المعرف فقد أطبقوا على أنه اللفظ العربى وأنه لخصوص العبارة العربية مدخلا في تسميته قرآنا كما قال تعالى (انا أنزلناه قرآنا عربيا) وقد جاء كذلك فى الآية الدالة على وجوب القراءة أعنى قوله سبحانه (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) أمر بقراءة القرآن فى الصلاة والقرآن المعرف هو اللفظ المنزل بلغة العرب فلا يكون الفارسي ونحوه قرآنا فلا يخرج به عن عهدة الامر ولذا ذهب الشافعى رضى الله عنه الى عدم جواز القراءة فى الصلاة بغير العربية سواء كان يحسن العربية أولا وقال أبو يوسف ومحمد بن الحسن ان كان يحسن العربية لا يجوز وان كان لا يحسنها جاز نظرا الى أنه اذا لم يحسن العربية فقد عجز عن مراعاة لفظه فيجب عليه مراعاة معناه ليكون التكليف بحسب الامكان والى قولهما كما صح رجع الامام أبو حنيفة رضى الله عنه وعليه الاعتماد كما فى فتح القدير بعد أن كان يقول بالجواز فى الصلاة مطلقا أحسن العربية أم لا معللا ذلك بأن الواجب فى الصلاة قراءة القرآن من حيث هو لفظ دال على كلام الله تعالى الذى هو صفة قائمة به لا من حيث هو لفظ عربى ومعنى الدلالة عليه لا تختلف بين لفظ ولفظ قال تعالى (وانه لفى زبر الاولين) ومعلوم انه ما كان بهذا اللفظ بل بهذا المعنى وكون العربية قرآنا لا ينفى أن يكون غيرها قرآنا لانها سميت قرآنا لدلالتها على ما هو القرآن وهى الصفة التى هى حقيقة القرآن ومعنى الدلالة يوجد فى الفارسية مثلا فجاز تسميتها قرآنا دل عليه قوله تعالى (ولو جعلناه قرآنا أعجميا) فقد أخبر انه لو عبر عنه بلسان العجم كان قرآنا (أنظر بدائع الصائع والبحر الرائق) وقد علمت ما فيه وأن الوجوب فى الآية متعلق بالقرآن المعرف والمفهوم منه في عرف

الشرع انما هـو اللفظ العربي الدال على المعنى المستفاد دون المعنى فقط ودون لفظ آخر فاذا زال اللفظ العربى لم يكن المعنى قرآنا فلامعنى للايجاب وانما وجب حال العجز عند الصاحبين والامام على ما رجـع اليه أخـيرا لما تقدم وان كان للشافعى أن يمنع وجوب مراعاة المعنى عند العجز عن اللفظ العربي لانه ليس بقرآن وليس فى الآية ما يفيـد وجوب مراعاته ولو سلم دلالتها عليه بارادة التبعيض في قوله تعـالى (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) أى بعضـه وهو المعنى بنـاء على أن القرآن اسم لمجموع النظـم والمعنى فمع ما فيه كما لا يخفى لا يجب أن تكون مراعاة المعنى بلفظ آخر ليس من القرآن فى شيء بل يمكن مراعاته بنفسه بأن يلاحظه بدون قراءة ويراد بالقراءة في قوله تعـالى (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) ما يشـمل التلفظ به وملاحظة معناه وما قيل ان النظم مقصود للاعجاز وحالة الصلاة المقصود من القراءة فيهـا المناجاة لا الاعجاز فلا يكون النظم لازما فيهـا فمردود لانه معارضة للنص بالمعنى فان النص طلب بالعربى وهذا التعليـل يجيزه بغيرها وأما قوله تعـالى (ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) فمعناه والله أعلم كما فى الالوسي وغيره لو نزلنا القرآن كما هو بنظمه الرائق المعجز على بعض الاعجمين فقراءه ذلك البعض عليهم قراءة صحيحـة خرقا للعادة ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم وشـدة شـكيمتهم فى المكابرة أو فقرأه محمد صلى الله عليـه وسـلم عليهم وفهموه خرقا للعادة ايضا ما كانوا به مؤمنين فكذلك هؤلاء لانهم كالانعام بل هم أضل سـبيلا ولو سـلم أن المراد بقوله (ولو نزلناه على بعض الاعجمين) بلغة العجم (فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) فمع بعده عما يقتضيه مقام بيان تماديهم في المكابرة والعناد فقد أجيب عنه بأن ضمير نزلناه ليس راجعا

الى القرآن المخصوص المأخوذ فى مفهومه العربية بل الى مطلق القرآن ويراد منه ما يقرأ أعم من أن يكون عربيا أو غيره وهذا نحو رجوع الضمير للامام فى ضمن الخاص فى قوله تعالى (مايعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب) فان ضمير عمره راجع الى شخص بدون وصفه بمعمر اذ لا يتصور نقص عمر لمعمر كما لا يخفى وبالجملة فنصوص الكتاب والسنة دالة على اعتبار العربية فى مفهوم القرآن فقد أخرج البهيقى من طريق يونس عن محمد بن ابراهيم بن الحارث التميمى عن أبيه من حديث فيه طول قال رجل يا رسول الله ما أفصحك ما رأينا الذى هو أعرب منك قال حق لى فانما نزل القرآن علي بلسان عربى مبين كما قال تعالى (نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين) وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا عربي والقرآن عربى وكلام أهل الجنة عربى وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول ما أنزل الله عز وجل كتابا الا بالعربية اذ هي أوسع اللغات ولكن كان جبريل عليه السلام يترجم لكل نبى بلسان قومه وليس فى القرآن العظيم الا لغة العرب وربما وافقت اللغة منه غير لغة العرب والاصل عربى لا يخالطه شيء وكانت العرب على اختلاف شعوبهم وقبائلهم وتباين بطونهم وأفخاذهم وفصائلهم ترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأخذ عنه القرآن فكان صلى الله عليه وسلم يترجم لكل قبيلة بحسب لغتها من قبائل قريش وكنانة وحمير وهذيل وطي وجرهم ومدلج وغيرهم من قبائل العرب فربما أطال المد أوقصره لمن لغته كذلك وربما فخم لمن لغته التفخيم وربما أمال لمن لغته الامالة وربما أدغم لمن لغته الادغام وربما رقق لمن لغته الترقيق وهكذا في

سائر وجوه الاداء والاحكام التي أمرنا الله بهـا ونهـانا عنهـا فى القرآن كلها واحدة لا تتغير فى جميع القراءات فلمـا وقع الضبط وأخذ القراء القراءات عن القبائل ضبط كل انسان ما سمع فقط اذ القيـاس هنا ممنوع وجميع التراجم كلها قرآن عربى منزل أوحي به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو جاز أن يترجم من القرآن بغير ما أوحى به اليه بلسان عربى لم يخرج عن مرتبتين لانه اما ان يترجم بلفظ مساو للوحى أو دونه فان كان دونه لم يصدق عليه أنه صلى الله عليه وسلم بلغ ما أنزل اليه من ربه وذلك محال فى حقه وان كان مساويا فلا فائدة فى العدول عن الوحى من الله بلفظ مساو له على أنه لا يقدر عليه لاعجازه فما بقى الا أنه صلى الله عليه وسلم بلغ ما أنزل اليه من ربه بحروفه العربيه الحاملة لمعانيه القديمة التي لا تتغير

(١٤) (حديث نزل القرآن على سبعة أحرف)

وروى جمع من الصحابة يبلغ عددهم واحدا وعشرين صحابيا حديث نزل القرآن على سبعه أحرف حتى نص أبو عبيدة على تواتره واختلف فى معناه على أقوال كثيرة ذكرها صاحب الاتقان وبين مالها وما عليها والمختار منها أن المراد سبع لغات واليه ذهب أبو عبيدة وثعلب والزهرى وآخرون واختاره ابن عطية وصححه البيهقى فى الشعب وجاء عن أبي صالح عن ابن عباس قال نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوزان ويقال لهم علياء هوازن ولهذا قال أبو عمرو بن العلا أفصح العرب علياء هوزان وسفلى تميم يعنى بنى دارم قال أبو عبيد ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات بل اللغات السبع مفرقة فيه فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هـذيل وبعضه بلغة هوزان وبعضه بلغة اليمن ومعناه ان جبريل عليه السلام كان يأتى فى

كل عرضة بحرف الى أن تمت السبعة وذلك تخفيف وتيسير على الامة فى التكلم بكتابهم كما خفف عنهم فى شريعتهم هذا هو المعول عليه وقال ابن قتيبة لم ينزل القرآن الا بلغة قريش واحتج بقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه فعلى هذا تكون اللغات السبع فى بطون قريش و بذلك جزم أبو على الاهوازى وذكر الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره المسمى جامع البيان عدة روايات فى حديث نزل القرآن على سبعة أحرف قال وفي حديث أبى بن كعب أنه قال سمعت رجلا يقرأ فى سورة النحل قراءة تخالف قراءتى ثم سمعت آخر يقرأها قراءة تخالف ذلك فانطلقت بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت انى سمعت هذين يقرآن فى سورة النحل فسألتهما من أقرأ كما فقالا رسول الله صلي الله عليه وسلم فقلت لاذهبن بكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ خالفتما ما أقرأنى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحدهما اقرأ فقرأ فقال أحسنت ثم قال للآخر اقرأ فقرأ فقال أحسنت قال أبى فوجدت فى نفسي وسوسة الشياطين حتي احمر وجهى فعرف ذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم فى وجهي فضرب بيده فى صدرى ثم قال اللهم اخسأ الشيطان عنه يا أبى أتانى آت من ربى فقال ان الله يأمرك ان تقرأ القرآن على حرف واحد فقلت ربى خفف عنى ثم أتانى الثانية وهكذا الى الرابعة قال له ان الله يأمرك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف وزاد فى رواية عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه كلها شاف كاف مالم يختم آية عذاب بآية رحمة أو آية رحمة بآية عذاب والمراد أنه وسع له صلى الله عليه وسلم بتوقيف الهي ووحي سماوى أن يقرأ و يقرئ أمته بما نزله من هذه الاحرف كما يشير اليه حديث ابن عباس حيث قال قال صلى الله عليه وسلم قد وسع لي أن أقرئ كل

قوم بلغتهم بعد أن كان جبريل عليه السلام ينزل على في كل عرضة بذلك وليس المراد أن يقرأ مايشاء تحت هذا الضابط فان ذلك لا يقول به أحد من المسلمين وفى رواية أخرى على سبعة أحرف لا تختلف فى حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهي هى كقوله تعال وهلم واقبل وفي رواية كقراءة ابن مسعود ان كانت الازقية واحدة وقراءة غيره ان كانت الاصيحة واحدة قال ابن هشام بلغنى ان تلك السبعة الاحرف انما هي فى الامر الذى يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا حرام وعن هشام بن على عن زيد بن علقمة النخعي قال لما خرج عبد الله بن مسعود من الكوفة اجتمع اليه أصحابه فودعهم ثم قال لا تنازعوا فى القرآن فانه لا يختلف ولا يتلاشي ولا ينفد بكثرة الرد وان شريعته الاسلام وحدوده وفرائضه فيه واحدة ولو كان شيء من الحرفين ينهى عن شيء يأمر به الآخر كان ذلك الاختلاف ولكنه جامع ذلك كله لا تختلف فيه الحدود والفرائض ولا شيء من شرائع الاسلام ولقد رأيتنا نتنازع فيه عند رسول الله صلي الله عليه وسلم فيأمرنا نقرأ عليه فيخبرنا أن كلنا محسن ولو أعلم أحدا أعلم بما أنزل الله على رسوله مني لطلبته حتي أزداد علمه الى علمي ولقد قرأت من لسان رسول الله صلي الله عليه وسلم سبعين سورة قد كنت علمت أنه يعرض عليه القرآن فى كل رمضان حتى كان عام قبض فعرض عليه مرتين فكان اذا فرغ أقرأ عليه فيخبرني انى محسن فمن قرأ على قراءتى فلا يدعنها رغبة عنها ومن قرأ على شيء من هذه الحروف فلا يدعنه رغبة عنه فان من جحد بآية جحد به كله الى غير ذلك من الاخبار الدالة على أن اختلاف الاحرف السبعة انما هو اختلاف الفاظ وتلاوة لا اختلاف معان موجبة لاختلاف أحكامه فان تماريهم في القرآن واحتكامهم فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الكيفية يدل على أن خلاف بعضهم بعضاً انما هو فى

نفس التلاوة لا فى معناها قال أبوجعفر معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم نزل القرآن على سبعة أحرف وأمرت أن أقرأ القـرآن على سـبعة أحرف أنه نزل بسبع لغات وأمر بقراءته على سبعة ألسن والمراد بكونه لا يختلف نفى الاختلاف الموجب للتناقض والتضاد كما قال ولو كان شىء من الحرفين ينهى عن شيء يأمر به الآخر كان ذلك الاختلاف يعنى المشار اليـه بقوله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وذلك محال وأما اختـلاف الاحرف المذكورة ومثلها القراءات المشهورة فى التـلاوة أو المعنى الذى لا يوجب تناقضا فذلك واقع في القـرآن لفوائد لا تحصي وقد تعرض لبيان شيء منها علماء القراءات والتفسير

(١٥) حديث نزل القرآن فى سبعة أبواب

ثم قال أبوجعفر وكما أنزل القرآن على سـبعة أحرف بهـذا المعنى نزل على سبعة أحرف كما ورد بمعنى الوجوه المتنوعة فقد روى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسـلم أنه قال كان الـكتاب الاول نزل من باب واحد على حرف واحد ونزل القـرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف زجر وأمر وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال فاحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا ماأمرتم به وانتهوا عمانهيتم عنه واعتبروا بأمثاله واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا به كل من عند ربنا وعن أبى قلابة قال بلغنى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنزل القرآن على سبعة أحرف أمر وزجر وترغيب وترهيب وجدل وقصص ومثل الى غير ذلك من الاحاديث التى تفهم أن القرآن نزل على سبعة أوجه من المعانى ولـكن هـذه الاوجه السبعة ليست معنى للاحرف السبعة الواردة فى الاخبار المتقدمة وأشـار

بقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المار على حرف واحد وعلى سبعة أحرف الى ماخصه الله به وأهله من الفضيلة والكرامة التى لم يؤتها أحداً فى تنزيله فانّ كل كتاب من الكتب المتقدمة انما نزل بلسان واحد متى حول الى غير اللسان الذى نزل به كان ذلك ترجمة له وتفسيرا لا تلاوة له على ما انزل الله وأنزل كتابنا بألسن سبعة بأى تلك الالسن السبعة تلاه التالى كان له تالياً على ما أنزل الله لا مترجما ولا مفسرا حتى يحوله عن تلك الألسن السبعة الى غيرها فيصير فاعل ذلك حينئذ اذا أصاب معناه مترجماً له ومفسراً لا تالياً على ما أنزله الله وعنى بقوله صلى الله عليه وسلم كان الكتاب الاول نزل من باب واحد ونزل القرآن من سبعة أبواب أن ما نزل من كتب الله تعالى على أنبيائه انما نزل ببعض المعانى السبعة لا بجميعها كزبور داوود فانه نزل بالتذكير والمواعظ وانجيل عيسى فانه بتمجيد ومحامد وحض على الصفح والاعراض دون غيرها من الاحكام والشرائع وحينئذ لا يجد المتعبدون بأقامتها لرضي الله تعالى مطلباً ينالون به الجنة و يستوجبون منه القربة الا من الوجه الذى انزل به وذلك هو الباب الواحد من أبواب الجنة الذى نزل به ذلك الكتاب بخلاف كتابنا الذى خص الله به نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم وسلم وأمته فانه نزل على أوجه سبعة أى من الوجهة التي ينالون بها رضوان الله و يدركون بها الفوز بالجنة اذا أقاموها فلكل وجه من أوجهه السبعة باب من أبواب الجنة التى نزل بها القرآن لان العامل بكل وجه من أوجهه السبعة عامل على باب من أبواب الجنة وطالب من قبله الفوز به فالعمل بما أمر الله جل ذكره فى كتابه باب من أبواب الجنة وترك مانهى الله عنه فيه باب آخر ثان من أبوابها وتحليل ما أحل الله فيه باب ثالث من أبوابها وتحريم ما حرم الله فيه باب رابع من أبوابها

والايمان بمحكمه باب خامس والتسليم بمتشابهه باب سادس والاعتبار بأمثاله والاتعاظ بعظاته باب سابع من أبوابه فجميع ما فى القرآن من حروفه السبعة وأبوابه السبعة التى نزل منها جعله الله لعباده الى رضوانه هادياً ولهم الى الجنة قائداً فذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم نزل القرآن من سبعة أبواب الجنة اه ملخصاً

المقالة الثانية

(١٦) (فى حكم تجويد القرآن وأركان قراءته)

وقد فرض الله تعالى على الامة ضبط القرآن وتعلمه وروايته على الوجه الذى نزل به بمعنى أنه يجب أن يكون فى كل عصر طائفة من الامة تبلغ حد التواتر يقومون بتحمله وروايته باللغة التى نزل بها ويحفظونه من التحريف والتغيير والتبديل وأن يكون فيهم من يعرف اوجه القراءات والطرق والكيفيات المتلقاة من افواه الشيوخ طبقة عن طبقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر الامام النووى في التبيان فى آداب حملة القرآن ان النصيحة لكتاب الله تعالى أى الواردة فى حديث الدين النصيحة الخ هى الايمان بانه كلام الله تعالى وأنه منزل من عنده لا يشبهه شيء من كلام الخلق وتعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها واقامة حروفه والذب عنه من تأويل المحرفين وتعرض الطاعنين والتصديق بما فيه والوقوف مع احكامه وتفهم علومه وأمثاله والاعتبار بمواعظه والتفكر فى عجائبه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه اه وكان عليه الصلاة والسلام يقرأ القرآن كما أنزل ويرتله كما أمر وكان من دابه اذا تكلم تكلم بكلام متصل مبين يعده العاد

قالت عائشة رضي الله عنها ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا بل كان يحدث حديثا لوعده العاد لاحصاه وكان يعيد الكلمة ثلاثاً لتفهم عنه ونهى صلى الله عليه وسلم عن الهذرمة بالقرآن وهى الاسراع بقراءته وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال لنهيك ابن سنان حين قال له انى لاقرأ المفصل فى ركعة (هدرا كهدر الشعر) يريد النهى عن شدة الاسراع والافراط فى العجلة والحث على الترتيل والتدبر كما فى شرح النووى على مسلم وقد اجمعوا على ان النقص فى كيفية القرآن وهيئته كالنقص فى ذاته ومادته فترك المد والغنة والتفخيم والترقيق كترك حروفه وكلماته ومن هنا وجب تجويد القرآن كما قال الامام ابن الجزرى

والاخذ بالتجويد حتم لازم   من لم يجود القرآن آثم
لانه به الاله أنزلا   وهكذا منه الينا وصلا

فالتجويد وهو اعطاء الحروف حقها وترتيلها ورد كل حرف الى مخرجه وتلطيف النطق به على كمال هيئته من غير اسراف ولا تعسف ولا افراط ولا تكلف امر واجب فى حفظ القرآن وتلاوته وتركه بدعة منكرة فان الامة كما هي متعبدة بفهم معانى القرآن واقامة حدوده وأحكامه فى كل باب بما يناسبه متعبدة بتصحيح الفاظه واقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القرآن المتصلة بالحضرة النبوية وقد عد العلماء القراءة بغير تجويد لحنا وخطأ وقسموا اللحن الى جلي وخفى فالجلى ما يخل بالالفاظ اخلالا ظاهراً يشترك فى معرفته علماء القراءة وغيرهم كالخطأ فى الاعراب والخفى ما يخل اخلالا يختص بمعرفته علماء القراءة وأئمة الاداء الذين تلقوه من أفواه العلماء وضبطوه من الفاظ أهل الاداء وقد صح ان النبى صلى الله

عليه وسلم سمي قارئ القرآن بغير تجويد فاسقاً وربما دخل فى وعيد قوله تعالى و يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقوله صلى الله عليه وسلم من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار واجمعت الامة على وجوب التجويد من زمن النبي صلى الله عليه وسلم الى زماننا ولم يختلف فيه أحدمنهم وقدجاءعن على كرم الله وجهه فى قوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) قال الترتيل هو تجويد الحروف ومعرفة الوقوف وفى شرح منظومة الامام السخاوى كل حرف له ميزان يعرف به مقدار حقيقته وذلك الميزان هو مخرجه وصفته فاذا خرج من مخرجه وأعطى ماله من الصفات على وجه العدل من غير أفراط ولا تفريط فقد وزن بميزانه وهذا هو حقيقة التجويد كما قيل

زن الحرف لاتخرجه عن حدوزنه فوزن حروف الذكر من أفضل السبر

قال ابن الجزرى ولاأعلم لبلوغ النهاية فى التجويد مثل رياضة الالسنة والتكرار على اللفظ المتلقي من فم المحسن كما قال فى جزريته

وليس بينه و بين تركه الا رياضة امرئ بفكه

وقاعدته ترجع الى كيفية الوقوف والامالة والادغام وأحكام الهمز والترقيق والتفخيم ومخارج الحروف

(١٧) (تعليم القرآن فى الصدر الاول)

وأهل الصدر ما كانوا يقرءون القرآن ولا يعلمونه الاطفال الامر تلا مجودا حتى لايخرج الصبي من المكتب الا على رياضة تامة ومعرفة بتلاوة القرآن وترتيله لا ينقصه الامعرفة الاحكام والاصطلاحات الفنية التي يسمونها الآن علم التجويد بل كانوا يعلمون أولاذهم بالمكتب غريب القرآن وشيئامن

أخلاقه وما جاء متضمنا لذلك من أشعار العرب وجملة من عقائد الدين وأحكام الفقه الواردة فى القرآن وشيئا من أحاديث الاخلاق النبويه وتعظيم الانبياء والرسل ومن اقتفى أثرهم من صالح الامة حتى يتخرج التلميذ من المكتب حافظا للقرآن الكريم مجوداله عالما بجملة صالحة من اللغة والحديث والشعر وعقائد التوحيد والفقه بحيث لو اقتصر على هذا القدر لكفاه في أمر دينه ودنياه هكذا كان شأن كثير من السلف الصالح فى تعليم أولادهم كتاب الله تعالى ولو سلكنا طريقتهم واهتدينا بهديهم فى تعليم أولادنا لما وصلنا بهم الى هذا الشر المستطير

وكل خير فى اتباع من سلف　　وكل شر فى ابتداع من خلف

ومعلمو القرآن اليوم يجعلون للتجويد دورا يلى دور تعليم القرآن وتحفيظه ويتسامحون مع الاطفال فى دور التحفيظ حتى يتعودوا النطق بالقرآن محرفا ناقصا غير مرتل ولامجود فتجمد مقاطعهم على هذا اللحن وتتعسر رياضتهم بعد ولا يخلوا فعلهم هذا من الاثم

(١٨) (أول من جمع الاولاد بالمكتب سيدنا عمر رضى الله عنه)

وقد رغب الشارع فى تعليم أولاد المسلمين كتاب الله تعالى ورتب عليه الخير العميم فقد ورد أن تعليم القرآن يطفىء غضب الرب أى عن الاولاد وعن آبائهم وعن كل من تسبب فى تعليمهم وأول من جمع الاولاد فى المكتب عمر بن الخطاب وأمر عامر بن عبد الله الخزاعى أن يلازمهم للتعليم وجعل رزقه من بيت المال وأمره أن يكتب للبليد فى اللوح ويلقن الفهيم من غير كتب وسألوه رضي الله عنه تخفيف التعليم فأمر المعلم بالجلوس بعد صلاة الصبح الى الضحي العالى ومن صلاة الظهر

الى صلاة العصر و يستريحون بقية النهار ولما خرج رضى الله عنه الى الشام عام فتحها ومكث شهرا ثم رجع الى المدينه وقد استوحش الناس منه فخرجوا للقائه تلقاه الصغار على مسيرة يوم وكان ذلك يوم الخميس فباتوا معه ورجع بهم يوم الجمعة فتعبوا فى خروجهم ورجوعهم فشرع لهم الاستراحة فى اليومين المذكورين فصار ذلك سنة متبعة ودعا بالخير لمن أحيا هذه السنة انظر الفواكه الدوانى على رسالة ابن زيد القيروانى

(١٩) (بدعة الجمع فى القراءات)

وكذلك أهل الصدر الاول ما كانوا يعرفون طريقة الجمع الذى عليه الناس اليوم بل كانوا يأخذون بافراد القراءات دون جمعها وفى الاتقان للجلال السيوطى الذى كان عليه السلف أخذ كل ختمة برواية لا يجمعون رواية الى غيرها الى انتهاء السة الخامسة فظهر جمع القراءات في الختمة لواحدة واستقر عليه العمل ولم يكونوا يسمحون به الا لمن أفرد القراءات وأتقن طرقها وقرأ لكل قارى ختمة على حدة بل اذا كان للشيخ راويان قرأوا لكل راو بختمة ثم يجمعون له وهكذا وتساهل قوم فسمحوا أن يقرأ لكل قارئ من السبعة بختمة سوى نافع وحمزة فانهم كانوا يأخذون ختمة لقالون ثم ختمة لورش ثم ختمة لخلف ثم ختمة لخلاد ولا يسمح أحد بالجمع الا بعد ذلك نعم اذا رأوا شخصا أفرد وجمع على شيخ معتبر وأجيز وتأهل وأراد أن يجمع القراءات فى ختمة لا يكلفونه الافراد لوصوله الى حد المعرفة والاتقان اهـ

وقوله ثم يجمعون له وهكذا أى فيقرأون للشيخ الواحد اذا كان له راويان ثلاث ختمات ختمتين لكل راو وختمة للشيخ بجمع الروايتين وهكذا الى آخر الائمة السبعة ثم يجمعون واشتهر ان القراءة تعزى للشيوخ

الأئمة كنافع وحمزة وعاصم والكسائي وابن عمرو وابن عامر وابن كثير والرواية لمن روى عنهم كقالون وورش لنافع وخلف وخلاد لحمزة والطريقة لمن روى عن رواتهم وقوله وتساهل قوم الخ . أى فيقرأون خمس ختمات للأئمة الخمسة وست ختمات لنافع وحمزة أو أربعة بحذف قراءة الجمع بين الروايتين والاكتفاء بجمع القراءات السبع وقوله أن يجمع القراءات الخ أى يعيد جمعها على شيخه الاول أو على شيخ آخر فيكتفى بالافراد فى الختمة الاولى ولا يكلف فى الاعادة بأفراد آخر لوصوله الى حد المعرفة والاتقان وظاهره ان ذلك كله حال التعلم والتلقى عن الشيوخ لا حال التلاوة فى المحافل أو غيرها فان ذلك لم يكن لا فى الصدر الاول ولا اثناء القرن الخامس ولا يصح قياس التلاوة على التعليم لان المتعلم بين يدى أستاذه فجمعه مأمون من الغلط والتلبيس والتلاوة ليست كذلك ومقام التعليم يغتفر فيه مالا يغتفر في غيره ألا ترى انهم جوزوا اطلاق اسماء وصفات فى مقام التعليم لا يجوز اطلاقها فى غيره على أن جمع المتأخرين حال التلقي على الوجه المذكور لايسوغ الجمع الذى عليه الناس اليوم لا حال التلقي ولا حال التلاوة لانه لم يسبق لهم حال الاخذ عن الشيوخ افراد القراءة ولا اتقان طرفها على الوجه الذى استقر عليه العمل اثناء القرن الخامس حتي يسوغ لهم الجمع المذكور بل الواحد منهم حال التلقي يفرد القراءة فى جزء يسير من القرآن كسورة الفاتحة والبقرة أو أقل من ذلك ثم يتلقى بقية الختمة بالجمع قصر المسافة التعليم ولا شك ان ذلك لا يؤمن معه الغلط والتخليط ولا يصل به القارئ الى حد المعرفة والاتقان وبالجملة فالجمع فى التلاوة بدعة غير معروفة لا عند السلف ولا عند الخلف كما ان الجمع الذى عليه الناس اليوم حال التلقى غير كاف في

ضبط القراءات على وجه يصل به القارئ الى الحد الذى يأمن معه من الغلط والتخليط وان كفى لذوى العناية والضبط لا يكفى لغيرهم وهم أكثر حملة القرآن اليوم واذا قيل ان الهمم قد قصرت عن تلقى القراءات على هذا الوجه وتحملها فرض كفاية قلنا ليس بلازم في القيام به أن يتحمل كل واحد مجموع القراءات بل يصح أن يقوم البعض بتحمل رواية أو روايتين و بعض آخر كذلك فان اكثر أهل مصر اشتهروا بقراءة حفص وأهل المغرب بقراءة ورش ومجموعهما كاف فى تحمل فرض الكفاية فى هاتين الروايتين و بالجملة فبدعة الجمع مطلقا لا تخلو من غضاضته خصوصا اذا لوحظ ان كيفية الافراد كترتيت الكلمات والسور والآيات سنة متبعة

(٢٠) (التلقى عن الشيوخ)

وقد جرت السنة فى الاخذ عن الشيوخ كما ذكره فى المصابيح ان يقرأ الاستاذ و يسمع التلميذ ثم يقرأ التلميذ لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى بن كعب رضى لله عنه ان الله أمرنى أن أقرأ القرآن عليك وروى عن زيد ابن ثابت رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يحب أن يقرأ القرآن كما أنزل أخرجه ابن خزيمة في صحيحه

والحكمة في أمره صلى الله عليه وسلم بالقراءة على أبى تعليمه وارشاده الى الفاظه وصفة أدائه ومواضع الوقوف وصيغ النغم فان نغم القرآن ألفه الشرع وقدره بخلاف ماسواه من النغم المستعمل فى غيره ولكل ضرب من النغم اثر مخصوص فى النفوس فكانت القراءة عليه ليعلمه لا ليتعلم منه وفى الحديث اقرأوا القرآن بلحون العرب واياكم ولحون أهل الكتابين وقيل

قرأ عليه ليبين عرض القرآن على حفاظه البارعين فيه المجيدين لأدائه وليبين قدر التواضع فى اخذ الانسان القرآن وغيره من العلوم الشرعية من أهلها وان كانوا دونه فى النسب والدين والفضيلة والمرتبة والشهرة ولينبه الناس على فضيلة أبى في ذلك ويحثهم على الاخذ عنه وتقديمه فى ذلك وقد كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم رأسا واماما مقصوداً فى ذلك مشهوراً وهو أول قراء الصحابة وأشدهم استعداداً لتلقف القرآن منه صلى الله عليه وسلم كتلقفه عليه الصلاة والسلام من أمين الوحى فلذا خص بهذه المنحة .

(٢١) (أركان القراءة)

وفى كتاب النشر للامام ابن الجزرى كما نقله صاحب الاتقان ان القراءة التي تعد قراءة هى ما وافقت العربية ولو بوجه و وافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهى القراءة الصحيحه التى لا يجوز ردها ولا يحل أنكارها بل هي من الاحرف السبعة التى نزل بها القرآن و وجب على الناس قبولها سواء كانت عن الائمة السبعة أو عن العشرة أو عن غيرهم من الائمة المقبولين ومتى أختل ركن من هذه الاركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أو عمن هو أكثر منهم هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف صرح بذلك الدانى ومكى والمهدوى وأبو شامه وهو مذهب السلف الذى لا يعرف عن احد منهم خلافه قال أبو شامه فى المرشد الوجيز لا ينبغي أن يغتر بكل قراءة تعزى الى أحد السبعة و يطلق عليها لفظ الصحة وأنها أنزلت هكذا الا اذا دخلت فى ذلك الضابط وحينئذ لا ينفرد بنقلها مصنف عن غيره ولا يختص ذلك بنقلها عنه بل ان نقلت عن غيرهم

من القراء فذلك لا يخرجها عن الصحة فان الاعتماد على استجماع تلك الاوصاف لا على من تنسب اليه فأن القراءة المنسوبة الى كل قارئ من السبعة وغيرهم منقسمة الى المجمع عليه والشاذ غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح المجمع عليه فى قراءتهم تركن النفس الى ما نقل عنهم فوق ما ينقل عن غيرهم اه ثم قال ابن الجزرى فقولنا فى الضابط ولو بوجه نريد به وجها من وجوه النحو سواء كان أفصح أم فصيحاً مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافا لا يضر مثله اذا كانت القراءة مما شاع وذاع وتلقاه الائمة بالاسناد الصحيح اذ هو الاصل الاعظم والركن الاقوم وكم من قراءة انكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم ولم يعتبر انكارهم كاسكان بارئكم ويأمركم وخفض الارحام والفصل بين المضافين فى مثل قتل أولادهم شركائهم فاذا ثبتت الروايه لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة لان القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير اليها قال ونعنى بموافقة أحد المصاحف ما كان ثابتا فى بعضها دون بعض كقراءة ابن عامر قالوا اتخذ الله ولداً فى البقرة من غير واو وبالزبر وبالكتاب المنير بزيادة الباء فى الاسمين فان ذلك ثابت فى المصحف الشامى فان لم يكن فى شىء من المصاحف العثمانية فشاذ لمخالفته الرسم المجمع عليه وقولنا ولو احتمالا نعنى به ما وافقه ولو تقديراً كملك يوم الدين فانه كتب فى الجميع بلا الف فقراءته بالالف توافقه تقديرا لحذفها فى الخط اختصارا وقد يوافق اختلاف القراءات الرسم تحقيقا نحو تعلمون بالتاء والياء ويغفر لكم بالياء والنون ونحو ذلك مما يدل تجرده عن النقط والشكل فى حذفه وأثباته على فضل عظم الصحابة رضى الله عنهم فى علم الهجاء خاصة وفهم ثاقب في تحقيق كل علم وانظر كيف كتبوا الصراط بالصاد المبدلة من السين وعدلوا عن السين التى هي الاصل لتكون قراءة

السين وان خالفت الرسم من وجه قدأتت على الاصل فيعتدلان وتكون قراءة محتملة ولو كتب ذلك بالسين على الاصل لفات ذلك وعدت قراءة غير السين مخالفة للرسم والاصل ولذلك أختلف فى بسطة الاعراف دون بسطة البقرة لكون حرف البقـرة كتب بالسين والاعراف بالصاد على أن مخالف صريح الرسم فى حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك لايعد مخالفا اذا ثبتت القراءة به ووردت مشهورة مستفاضة كقراءة السوسى فى نحو يغفر لكم بأبدال الراء لاما وأدغامها فى اللام مع أن الرسم فى المصاحف العثمانية كلها بالراء ولذا لم يعدوا أثبات ياءت الزوائد وحذف ياء تسألنى فى الكهف وواو واكون من الصالحين ونحوه من مخالفة الرسم المردودة فان الخلاف فى ذلك مغتفر

اذ هو قريب يرجع الى معنى واحد وتمشيه صحة القراءة وشهرتها وتلقيها بالقبول بخلاف زيادة كلمة ونقصانها وتقديمها وتأخيرها قال وقولنا وصح أسنادها نعنى به أن يروى تلك القراءة العدل الضابط عن مثله وهكذا حتى ينتهي الى رسول الله صلي الله عليه وسلم وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذبها بعضهم قال وقد شرط بعض المتأخرين التواتر فى هذا الركن ولم يكتف بصحة السند وزعم أن القـراءة لا تثبت الا بالتواتر وان ما جاء مجيء الآحاد لا يثبت به قرآن قال وهذا مما لا يخفى ما فيه فان التواتر اذا ثبت لا يحتاج فيه. الى الركنين الآخرين من الرسم وغيره اذ ما ثبت من أحرف الخلاف متواتراً عن النبي صلى الله عليه وسلم وجب قبوله وقطع بكونه قرآنا سواء وافق الرسم أم لا واذا شرطنا التواتر فى كل حرف من حروف الخلاف أنتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن السبعة وقال الجعبرى الشرط واحد وهو صحة النقل ويلزم الآخران فمن أحكم معرفة

حال النقلة وأمعن فى العربية وأتقن الرسم أنحلت له هذه الشبهة وعرف أن المعول عليه صحة الاسناد والشهرة يعنى وعندذلك لابدان يوافق الرسم والعربية بالمعنى الذى قرره بن الجزرى وغيره

(٢٢) أنواع القراءات أربعة

والحاصل أن أنواع القراءات أربعة (الاول) المتواتر – وهوما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم الى منتهاه وغالب القراءات كذلك (الثانى) المشهور — وهو ماصح سنده ولم يبلغ درجة المتواتر ووافق العربية والرسم واشتهر عند القراء فلم يعدوه من الغلط ولا من الشذوذ ويقرأ به على ماذكره ابن الجزرى وابن شامة (الثالث) الآحاد وهوماصح سنده وخالف الرسم أو العربية ولم يشتهر الاشتهار المذكور وهذا لا يقرأ به كرواية متكئين على رفارف خضر وعباقرى حسان (الرابع) الشاذ – وهومالم يصح سنده وفيه كتب مؤلفة من ذلك قراءة ملك يوم الدين بصيغة الماضي ونصب يوم انظر الاتقان ولعل المراد بالنوع الثاني المشهور بالمعنى الذى ذكره أنه فى رتبة المتواتر المفيد للقطع فان القرآنية لا تثبت على الصحيح الا بقاطع

(٢٣) (الخلاف فى ثبوت القرآنية بخبر الآحاد المحتف بالقرائن)

وذهب بعض فقهاء الشافعية وغيرهم الى ثبوت القرآنية بخبر الواحد اذا احتف بالقرائن الموجبة للقطع وجعلوا ذلك فى حكم المتواتر ومنه البسملة فى أوائل السور وبعضهم خصه بها فقد قال الشيخ بهاء الدين ابن عقيل الذى يظهر أن اثباتها قرآنا لا يكون الا بقاطع كغيرها ويجوز كونه خبر الآحاد الذى احتفت به القرائن وهو اجماعهم على كتابتها في المصاحف

كلها بقلم القرآن وعدم تكفيرنا فيها لكون القطع ناشئا عن ثبوت الخبر المحفوف بالقرائن وهذا لم يحصل للنافى اه وقال ابن الحاجب وغيره أن الشبهة الحاصلة من دليل كل طائفة قوية عند الاخرى ومثل ذلك يمنع التكفير والحاصل أن القرآنية الحقيقية لا تثبت بخبر الواحد الا اذا احتفت بالقرائن الموجبة للقطع وهل هذا الطريق خاص بالبسملة أو يعم غيرها من أحرف القرآن وقد توفر فى البسملة عدة قرائن لا يوجد مجموعها فى غيرها مما نقل آحادا منها تواتر نقلها تلاوة وفصلا بين السور وان لم يكن على الجزم بانها قرآن أو غير قرآن ومنها الاجماع على أن ما بين دفتي المصحف كلام الله تعالى والبسملة بين دفتيه بخط السور ومنها أن الآحاد كما دلت على قرآنيتها دلت على اثبات أحكام القرآن لها كما صح أنه عليه الصلاة والسلام أمر بقراءة الفاتحة في الصلاة وعدها سبع آيات وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية منها بخلاف ما نقل آحادا من غيرها فانه واز دلت الآحاد على قرآنيته لم تدل على ثبوت أحكام القرآن له بمعنى أنها لم تتعرض لذلك و بعضهم أثبت قرآنية البسملة بتواتر كتابتها بخط المصحف اذ لا يكتب كذلك الا ما كان قرآنا و بالاجماع على أن ما بين دفتى المصحف كلام الله تعالى وهذا قريب مما قبله فمن ما اعتبر قرينة لخبر الآحاد على الاول اعتبر دليلا عند هذا القائل وكلاهما بمثابة التواتر الصريح فى افادة القطع وانظر هل ذلك يستلزم الشهرة فيكون من النوع الثاني المتقدم أولا يستلزمها فلا تكون شرطا فى اثبات القرآنية التي يجوز القراءة بها وذهب جمهور الشافعية كما نقله صاحب الآيات الى أن البسملة قرآن حكما لا قطعا ورجحه النووى فى شرح التهذيب ومعنى كون قرآنيتها حكما كما قاله الماوردى انه لا تصح الصلاة الا بها أول الفاتحة وفى كتاب الانتصار للقاضي أبي بكر ما نصه وقال قوم من الفقهاء والمتكلمين يجوز اثبات قرآن وقراءة حكما

لاعلما بخبر الواحددون الاستفاضة وكره أهل الحق ذلك وامتنعوا منه اهأى
لان خبر الواحد لا يفيد الا الظن والقرآن لا يكون الا مقطوعا به ولذلك
شرط بعضهم فيه أن يكون محفوفا بالقرائن الموجبة للقطع وقد توفر ذلك
فى البسملة كما تقدم ومذهب المالكية والمتقدمين من الحنفية كما حكاه عنهم
صاحب الآيات يخص ثبوت القرآنية بطريق التواتر نظرا الى أن هذا
الطريق هو الطريق العام للقرآن المعجز الذى تتوفر الدواعى على نقله
تواترا والبسملة فى أوائل السور لم يتواتر نقلها على أنها قرآن وان تواتر
نقلها تلاوة وفصلا بين السور وكتابة بخطها فان ذلك لا يثبت القرآنية فيما
تتوفر الدواعى على نقله تواترا وبهذا الطريق قطعنا بان غيرها مما لم يذكر
فى القرآن ليس منه والبسملة فى أوائل السور انما نزلت للفصل كما روى
ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يعرف
فصل السورة حتى تنزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم فهى بين السور من
كلام الله تعالى ولكنها ليست من القرآن ولكونها من كلامه تعالى كان
تواتر كتابتها بخط المصحف والاجماع على أن مابين دفتيه من كلام الله تعالى
لا يثبت قرآنيتها عند المالكية والحاصل أن المذاهب فى البسملة أربعة
قيل أنها من القرآن آية من كل سورة ما عدا براءة وهو مذهب الشافعية
واستدلوا على قرآنيتها بتواتر نقلها كتابة بخط السور وبالاجماع المار وعلى
كونها جزءا من الفاتحة بالحديث وعلى أنها جزء من غيرها بالقياس وقيل
أنها آية من الفاتحة دون غيرها وهو مذهب الحنابلة وقيل أنها آية مستقلة
ليست جزءا من الفاتحة ولا من غيرها وهو مذهب المتأخرين من الحنفية
وقيل أنها ليست من القرآن أصلا لامستقلة ولا جزءا وهو المشهور من
مذهب مالك ومتقدمى الحنفية وأدلة كل مبسوطة فى محلها

(٢٤) (تواتر القراءات)

والحق أن القرآن بجميع حروفه السبعة وقراءاته المعروفة للقراء السبعة أبى عمرو ونافع وابنى كثير وعامر وعاصم وحمزة والكسائي متواترة كما ذكره عمدة القراء والمحدثين الشمس ابن الجزرى واختلف فى تواتر ماوراء السبعة من قراءة يعقوب وأبي جعفر وخلف والصحيح أنها متواترة يجوز القراءة بها وقيل أنها غير متواترة بل هى شاذة لايجوز القراءة بها وأنكره أئمة القراء أشد انكار حتي قال الشيخ أبو حيان لانعلم أحدا من المسلمين حظر القراءة بالثلاث الزائدة على السبع كماذكره الكمال وغيره

وفى الاتقان للسيوطى القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلي الله عليه وسلم للبيان والاعجاز والقراءات اختلاف الفاظ الوحي المذكور فى الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما اه

والمراد بتغاير الحقيقتين تغاير مفهوم الفرد ومفهوم الحقيقة الكلية التي لانوجد الا في ضمنه فان القرآن لايتحقق الا في رواياته المشهورة التي نزل عليها فى أحرفه السبعة

المقالة الثالثة

(٢٥) (فى جمع القرآن وكتابته بالخط العثمانى)

كان صلى الله عليه وسلم له حالة خاصة فى تلقي الوحى القرآنى والاهتمام بشأنه تبليغا وتبيينا وحفظا وتحفيظا وكتابة فكان كلما نزل عليه جملة من القرآن اهتم بشأنها وسارع الى حفظها والتثبت منها وتبليغ قرآنيتها وأمر بكتابتها ورغب فى حفظها وبين مايحتاج الى البيان منها فقد أخرج البخارى ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة أن

يتلفت منه يريد أن يحفظه فانزل الله تعالى (لا تحرك به لسانك) اى عند القاء الوحي من قبل أن يقضي اليك وحيه (لتعجل به أن علينا جمعه) فى صدرك بحيث لا يذهب عليك شيء من معانيه (وقرآنه) أى اثبات قراءته في لسانك (فاذا قرأناه) أى أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام (فاتبع) بذهنك وفكرك (قرآنه) أى فاستمع وأنصت (ان علينا بيانه) فكان رسول الله صلي الله عليه وسلم بعد ذلك اذا أتاه جبريل أطرق واستمع فاذا ذهب قرأه كما وعد الله عز وجل

(٢٦) (دراسة القرآن وكتابته فى عهده عليه السلام)

وقد عنى صلي الله عليه وسلم بدراسة القرآن وأمر بكتابته ونهي عن كتابة السنة فى بدىء الامر ميزة له وزيادة فى التثبت والحفظ وخشية من الالتباس والضياع وعناية بالنظم المتعبد بتلاوته وأخرج ابن أبى حاتم من طريق عقيل عن الزهرى سئل عن الوحى فقال الوحي مايوحي الله الى نبى من الانبياء فيثبته في قلبه فيتكلم به ويكتبه وهو كلام الله ومنه مالا يتكلم به ولا يكتبه لاحد ولا يأمر بكتابته ولكنه يحدث به الناس حديثا ويبين لهم أن الله أمره أن يبينه للناس ويبلغهم اياه وأخرج مسلم من حديث أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكتبوا عنى شيئاً غير القرآن فكان الصحابة رضي الله عنهم يكتبون مايسمعون من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن فى الصحاف والرقاع مخافة النسيان والضياع وقال الحارث المحاسبي كتابته القرآن ليست بمحدثة فانه صلى الله عليه وسلم كان يأمر بكتابة ولكن كان مفرقا في الرقاع والاكتاف والعسب وانما أمر الصديق بنسخها من مكان الى مكان مجتمعا وكان ذلك بمنزله أوراق وجدت في بيت رسول الله صلي الله عليه وسلم فيها

القرآن منتشر فجمعها جامع و ربطها بخيط حتي لا يضيع منها شيء وكان النبي صلي الله عليه وسلم كل سنة فى رمضان يعرض مامعه من القرآن على جبريل عليه السلام وكلما زاده حرفا من الاحرف السبعة أو نسخ منه شيئاً بادر الى حفظ ذلك والعمل بمقتضاه والامر بكتابته قال الخطابى وانما لم يجمع صلي الله عليه وسلم القرآن فى المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته فلما انقضي نزوله بوفاته صلي الله عليه وسلم الهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الامة وكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر رضي الله عنه

(٢٧) كتابة القرآن توقيفية

فالقرآن كتب كله فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن غير مجموع فى موضع واحد ولا مرتب السور كما فى الاتقان وغيره وكان صلى الله عليه وسلم هو الذى يملى زيد بن ثابت من تلقين جبريل عليه السلام كما يشهد بذلك اطباق القراء على قوله واخشوني فى البقرة باثبات الياء وفى المائدة بحذفها في الموضعين ونظائر ذلك كثيرة مما يدل على أن هجاء القرآن وكتابته بالتوقيف وأنه ليس من الرسم الموضوع و يشهد لذلك أيضا ماذكره العلامة الشيخ أحمد بن المبارك فى كتاب الذهب الابريز عن شيخه العارف بالله سيدى الشيخ عبد العزيز الدباغ أنه قال رسم القرآن العزيز سر من أسرار المشاهدة وكمال الرفعة قال سيدى أحمد فقلت له هل رسم الواو بدل الالف فى نحو الصلاة والزكاة والربو والحيوة ومشكوه و زيادة الواو فى ساوريكم وأولئك وأولائى والياء فى هدايهم وملأئه و بأييكم و بأييد هذا كله صادر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذى أمر الكتاب من الصحابة أن يكتبوه على هذه الهيئة فما نقصوا ولا زادوا على ماسمعوا من

النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له ان جماعة من العلماء ترخصوا فى أمر الرسم وقالوا انما هو اصطلاح من الصحابة مشوا فيه على ما كانت قريش تكتب عليه فى الجاهلية فقال ما للصحابة ولا لغيرهم فى رسم القرآن ولا شعرة واحدة وانما هو توقيف من النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذى أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفه بزيادة الالف ونقصانها لاسرار لا تهتدى اليها العقول وهو سر من الأسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية فلا يوجد شيء من هذا الرسم لا في التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الزبور ولا فى غيرها من الكتب السماويه فكما ان نظم القرآن معجز فرسمه معجز ايضا وكيف تهتدى العقول الى سر زيادة الالف فى مائه دون فئه والى سر زيادة الياء فى بأييد و بأييكم أم كيف تتوصل الى سر زيادة الألف فى سعوا بالحج ونقصانها من سعوا بسبا والى سر زيادتها فى عتوا حيث كان ونقصانها من عتو بالفرقان والى سر زيادتها فى يعفوا الذى ونقصانها من يعفو عنهم بالنساء والى سر زيادتها فى آمنوا وأسقاطها من باء و او جاء و او تبوء و فاء و ا بالبقرة أم كيف تبلغ العقول الى وجه حذف بعض أحرف من كلمات متشابهة دون بعض كحذف الالف من قرأنا بيوسف والزخرف واثباتها فى سائر المواضع واثبات الألف بعد واو سموات فى فصلت وحذفها من غيرها واثبات الألف فى الميعاد وحذفها من موضع الأنفال واثبات الألف فى سراجاً حيث وقع وحذفها من موضع الفرقان وكيف تتوصل الى فتح بعض التاءات وربطها فى بعض فكل ذلك لأسرار ألهيه واغراض نبويه وانما خفيت على الناس لانها أسرار باطنيه لا تدرك الا بالفتح الربانى فهي بمنزله الألفاظ والحروف المتقطعة التى فى أوائل السور فان لها أسرارا عظيمة ومعانى كثيرة وأكثر الناس لا يهتدون إلى أسرارها ولا يدركون شيأ من المعانى الالهية التى اشير اليها فكذلك أمر الرسم الذى فى القرآن حرفا بحرف اهو هذا هو الذى ينبغى التعويل عليه فى

(٢٨) (أمية النبي صلى الله عليه وسلم)

ولا ينافيه ماقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم كان اميا لم يتعلم الكتابة لأن الأملاء بالتلقين على هذا النحو لا يستلزم تعلم الكتابة بالمعنى الذى نفى عنه صلى الله عليه وسلم فأن الأول إيحاء وإعلام محض بهجاء الكتابة ورقومها بدون تعلم وكسب والثانى تعلم كسبي وعمل يدوى كما يتعلم أحدنا مبادىء الكتابة ثم يقرأ ويكتب وإنما لم يتعلم صلى الله عليه وسلم الكتابة أو يكتب لئلا يظن انه مصنف القرآن فيرتاب فى أمره كما قال تعالى (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون) فالكتابة لم تقع منه صلى الله عليه وسلم لاعن وحى ولا تعلم ولا عن غريزة ينشأ عنها نظم الكتابة كما ينشأ الشعر عن سليقة العربى والصحيح أن هذا كان فى بدء الاسلام أول نزول القرآن وأما بعد التحدى به وعجز فصحاء العرب عن الأتيان بمثله فقد قيل إنه صلى الله عليه وسلم قرأ وكتب بيده الشريفة فقد أخرج أبو الشيخ من طريق مجاهد قال حدثنى عون بن عبد الله بن عتبة عن أبيه قال مامات النبي صلى الله عليه وسلم حتى قرأ وكتب فذكرت هذا الحديث للشعبي فقال صدق سمعت أصحابنا يقولون ذلك وكتابته صلى الله عليه وسلم لاعن تعلم تعد معجزة له كما أن الأمية التى وصف بها فى القرآن تعد من من شمائله وأن كانت نقصا في حق غيره ففى الألوسي و وصف عليه الصلاة والسلام بالأمى في قوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى) ونحوه تنبيها على أن كمال علمه مع حاله إحدى معجزاته صلى الله عليه وسلم فهو بالنسبة اليه صفة مدح وأما بالنسبة إلى غيره فلا وذلك كصفة التكبر فانها صفة مدح لله عز وجل وصفة ذم لغيره اه

وقوله صلى الله عليه وسلم نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب إخبار عن البدء بالنسبة له صلى الله عليه وسلم أو أن حصول الكتابة منه على هذا الوجه لا ينافى الأمية لأن الأيحاء والتلقين من الله تعالى لا يرفع وصف الامية التى يقابلها الكسب والتعليم وأما بالنسبة للصحابة رضي الله عنهم فباعتبار الغالب فان منهم كتابا كانوا فى غاية الحذق بصناعة الكتابة والهجاء

(٢٩) (كتابه عليه السلام)

فقد نقل صاحب السيرة الحلبية عن بعضهم أن كتابه صلى الله عليه وسلم للقرآن وغيره من الرسائل كانوا ستة وعشرون كاتباً على ما ثبت عن جماعة من ثمات العلماء وفى السيرة العراقيه انهم كانوا اثنين وار بعين منهم عبد الله ابن سعد العامرى وهو أول من كتب له صلى الله عليه وسلم من قريش بمكة ثم ارتد ثم اسلم وحسن اسلامه ودعا الله تعالى أن يختم عمره بالصلاة فمات ساجداً فى صلاة الصبح ومنهم ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن ابي طالب وعامر بن فهيرة رضي الله عنهم وعبدالله بن الارقم كان يكتب له الرسائل الملوك وغيرهم وأبى بن كعب وهو أول من كتب له صلى الله عليه وسلم من الانصار بالمدينه وثابت بن قيس بن الشماس وزيد بن ثابت ومعاويه بن ابى سفيان وأخوه يزيد قال بعضهم كان معاوية وزيد بن ثابت رضى الله تعالى عنهما ملازمين للكتابة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الوحى وغيره ولا عمل لهما غير ذلك قال زيد بن ثابت رضى الله عنه امرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم السريانيه قال انى لا آمن يهود على كتابى فما مر بى نصف شهر حتى تعلمت وحذقت فيه فكنت اكتب له صلى الله عليه وسلم واقرأ له كتبهم ومنهم المغيره بن شعبة والزبير بن العوام وخالد بن الوليد وعمرو

ابن العاص وعبدالله بن رواحه ومحمد بن مسلمه وعبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول وذكر القاضي محمد بن سلامه القضاعي أن عثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب رضى الله عنهما كانا يكتبان الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأن غابا كتب أبي بن كعب وزيد بن ثابت فان لم يحضر احد من هؤلاء الاربعة كتب من حضر من الكتاب وهم معاويه بن ابي سفيان وخالد ابن الوليد وسعيد بن العاص وأبان بن سعيد والعلاء بن الحضرمى وحنظل بن الربيع وعبد الله بن مسعد بن ابى سرح وكان زيد بن ثابت ألزم الصحابة لكتابته الوحي بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أول من كتب القرآن بيده فى خلافة أبى بكر

(٣٠) (حفظة القرآن فى عهده عليه السلام)

أما الذين حفظوا القرآن فى عهده ﷺ من الصحابة مهاجرين وأنصاراً فكثير جداً فمن المهاجرين ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة وسعد وابن مسعود وحذيفة وسالم مولى أبي حديفة وأبو هريرة وابن عمر وابن عباس وعمرو بن العاص وابنه عبد الله ومعاوية وابن الزبير وعبدالله ابن السائب وعائشة وحفصة وأم سلمة ومن الانصار أبى بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو الدرداء ومجمع بن حارثة وأنس بن مالك وأبو زيد الذى سئل عنه أنس فقال أحد عمومتى وقد جاء فى صفة الصحابة رضى الله عنهم صدورهم أناجيلهم لايحتاجون فى حفظ العلم الى صحيفة أو كتاب وقد بذلوا أنفسهم في حفظ القرآن واتقانه فتلقوه من النبى صلى الله عليه وسلم حرفا حرفاً لم يهملوا منه حركة ولا سكوناً ولا اثباتا ولا حذفا ولا دخل عليهم فى شيء منه شك ولا وهم وكان منهم من حفظه كله ومنهم من حفظ أكثره ومنهم من حفظ بعضه كل ذلك في زمن النبي صلي الله عليه

وسلم كما أن كتابته بجميع أحرفه كان في عهده صلى الله عليه وسلم وأن لم يكن مجموعا في مصحف واحد فقد قال صاحب غنية الطالبين ان القرآن لم يجتمع فى عهد النبي ﷺ فى مصحف واحد وانما كانت الصحابة رضى الله عنهم قبل ان يكثر الورق يكتبون مانزل من القرآن على العسب والاكتاف والأدم واللخاف والعسب هي العريض من جريد النخل واللخاف الاحجار العريضه البيضاء والأكتاف العظام المنبسطه كاللوح والأدم قطع الجلود ولعل هذه الاشياء هى التي أطلق عليها اسم المصحف فى قولهم مخلف طه سبحتان ومصحف وكان دأب الصحابة رضي الله عنهم في حياته صلي الله عليه وسلم المبادرة الى حفظ القرآن وضبط روايته وتتبع وجوه قراءاته وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعرضه على جبريل عليه السلام فى كل عام فى رمضان مرة وفى العام الذى قبض فيه عرض عليه مرتين وكان زيد بن ثابت قد شهد العرضة الاخيره وهى حاكمة على المتقدمات وهى التي كان يقرأ الناس بها حتي مات رضي الله عنه ولذلك اعتمده الصديق رضي الله عنه فى جمع القرآن على ماسيأتى بيانه أه وهذا ظاهر فى أن العرضة الاخيرة كانت بالاحرف السبعة وأن الناس كانوا يقرءون بها فى عهده صلى الله عليه عليه وسلم وعهد أبى بكر وعمر الى أن وقع الاختلاف فى عهد عثمان رضي الله عنه فأمر بكتابة المصحف مجرداً عن تلك الوجوه الى وجه واحد وقصر الناس على تلاوته بحرف واحد وسيأتي الخلاف في ذلك

(٣١) (جمع القرآن)

وقال الحاكم فى المستدرك جمع القرآن ثلاث مرات أحداها بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم أخرج بسند علي شرط الشيخين عن زيد بن ثابت قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من

الرقاع الحديث قال البيهقي يشبه أن يكون المراد به تأليف ما نزل من الآيات المفرقة في سورها وجمعها فيها بأشارة النبى صلى الله عليه وسلم والرقاع جمع رقعة وقد تكون من جلد أو ورق وهل هذا الجمع كان بعد العرضة الاخيرة أو كان قبلها واستمر الى تمام القرآن وعلى كل حال فهو مجرد تأليف وجمع لآى القرآن المفرقة فى سورها وليس فيه نسخ جديد وانما جمعوا نفس المكتوب الذى كان عليه الصلاة والسلام يأمر بكتابته عند نزوله في الرقاع والعسب ونحوها فجعلوا آيات كل سورة فى سورها مرتبة بتوقيف منه صلى الله عليه وسلم كما كانوا يقرءونه بينهم حسبما تلقوه منه صلى الله عليه وسلم كذلك

(٣٢) (ترتيب الآيات توقيفي)

قال فى الاتقان الاجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لاشبهة فيه أما الاجماع فنقله غير واحد منهم الزركشى فى البرهان وابو جعفر ابن الزبير فى مناسباته وعبارته ترتيب الآيات فى سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين فقد أخرج ابن أبى داود عن أبى انهم جمعوا القرآن فلما انتهوا الى الآية التى فى سورة براءة ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ظنوا أن هذا آخر ما نزل فقال أبى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأنى بعد هذا آيتين لقد جاءكم رسول الى آخر السورة وتقدم حديث زيد بن ثابت كنا عند النبى صلي الله عليه نؤلف القرآن من الرقاع وأخرج البخارى عن ابن الزبير قال قلت لعثمان والذين يتوفون منكم و يذرون ازواجا قد نسختها الآية الاخرى فلم تكتبها أو تدعها قال يا ابن اخى لا أغير شيئا منه من مكانه وقال مكي وغيره ترتيب الآيات فى السور بأمر من النبى صلى الله عليه وسلم وقال القاضى أبو بكر فى الانتصار ترتيب الآيات أمر

واجب وحكم لازم فقد كان جبريل يقول ضعوا آية كذا في موضع كذا
وقال ايضا الذى نذهب اليه أن جميع القرآن الذى أنزله الله وأمر باثبات
رسمه ولم ينسخه ولا رفع تلاوته بعد نزوله هو هذا الذى بين الدفتين
الذى حواه مصحف عثمان وانه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه وان
ترتيبه ونظمه ثابت علي ما نظمه الله تعالى ورتبه عليه رسوله من آى
السور لم يقدم من ذلك مؤخر ولا أخر منه مقدم وأن الامة ضبطت عن
النبي صلى الله عليه وسلم ترتيب آى كل سورة ومواضعها وعرفت مواقعها
كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة

(٣٣) (الخلاف في ان ترتيب السور توقيفى)

وأنه يمكن أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد رتب سوره
ويمكن أن يكون قد وكل ذلك الى الامة بعده ولم يتول ذلك بنفسه قال وهذا
الثانى أقرب واليه ذهب جماعة من العلماء قال ابن فارس جمع القرآن على ضربين
أحدهما تأليف السور كتقديم السبع الطوال وتعقيبها بالمئين فهذا هو الذى
تولته الصحابة وأما الجمع الآخر وهو جمع الآيات فى السور فهو توقيفى تولاه
النبي صلي الله عليه وسلم كما أخبر به جبريل عن أمر ربه ومما استدل به لذلك
اختلاف مصاحف السلف فى ترتيب السور فمنهم من رتبها على النزول
وهو مصحف على كان أوله اقرأ ثم المدثر ثم ن وهكذا الى أخر المكي
والمدنى وكان أول مصحف ابن مسعود البقرة ثم النساء ثم آل عمران
على اختلاف شديد وكذا مصحف أبى وغيره وفيه أن هذه لم تكن
مصاحف تلاوة بل مصاحف علم وتأويل قصد بها ضبط حالة خاصة
وقال ابن الحصار ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها انما كان بالوحى
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ضعوا أية كذا فى موضع كذا وقد

حصل التعقيب من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزركشى في البرهان والخلاف بين الفريقين لفظى لان القائل بالثانى يقول انه رمز اليهم ذلك لعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته ولهذا قال مالك انما الف القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي صلى الله عليه وسلم مع قوله بأن ترتيب السور باجتهاد منهم فآل الخلاف الى انه هل هو بتوقيف قولى أو بمجرد اسناد فعلى بحيث يبقى لهم فيه مجال للنظر وسبقه الى ذلك ابوجعفر ابن الزبير وفى الالوسى وأما ترتيب السور ففى كونه اجتهاديا او توقيفيا خلاف والجمهور على الثانى قال ابو بكر الانبارى انزل الله تعالى القرآن كله الى سماء الدنيا ثم فرقه فى بضع وعشرين فكانت السورة تنزل لامر يحدث والآية جوابا لمستخبر فيوقف جبريل النبى صلى الله عليه وسلم على موضع الآية والسورة فمن قدم او أخر فقد أفسد نظم القرآن وذهب البيهقى الى ان جمع السور وترتيبها توقيفى الا براءة والانفال وله انشرح صدر الامام السيوطى لما ضاق ذرعاً عن الجواب والذى ينشرح له صدر الفقير هوما انشرحت له صدور الجم الغفير من ان ما بين اللوحين الآن موافق لما فى اللوح من القرآن وحاشا ان يهمل صلى الله عليه وسلم امر القرآن وهو نور نبوته وبرهان شريعته فلا بد اما من التصريح بمواضع الآيات والسور واما من الرمز اليهما بذلك واجماع الصحابة في المآل على هذا الترتيب وعدولهم عما كان أولا من بعضهم على غيره من الاساليب وهم الذين لا تلين قناتهم لباطل ولا يصدهم عن أتباع الحق لوم لائم ولا قول قائل أقوى دليل على انهم وجدوا ماأفادهم علماً ولم يدع عندهم خيالا ولا وهما انظر الالوسي والاتقان والحاصل أن هنا ثلاثة اعمال جمع الآيات فى السور وبه ينقسم القرآن الى مائة وأربعة عشر قسما بعدد سوره وترتيب آيات كل سورة جمعت فيها وكلاهما توقيفى قطعا وترتيب

الســور أى تعقيب بعضها بعضا وفى كونه توقيفيا خلاف وقـد علمت معناه وان الحق انه توقيفى وهل وقع ترتيب السور فى هذه الجمعة أو وقع فى عهد أبي بكر وهو الظاهر من كلامهم .

والظاهر ان المجموعة المؤلفة من الرقاع فى زمن النبي صلى الله عليـه وسـلم بعد تأليفها وترتيبها الى العـرضة الاخيرة لم تشتمل على المنسوخ تلاوة كما يدل عليـه ما ذكره صاحب الاتقان آخر النوع السادس عشر حيث قال قال البغوى فى شرح السنة يقال أن زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيرة التى بين فيها ما نسخ وما بقى وكتبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه وكان يقرىء الناس بها حتى مات ولذلك اعتمده ابو بـكر وعمر فى جمعه وولاه عثمان كتب المصاحف اه فقوله وكتبها الى آخره أى كتب العرضة الاخيرة التى استقر عليها الحال تلاوة وترك المنسوخ تلاوته وأثبت ماعداه والظاهر ان المراد بكتابتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه اتم كتابتها بضم ما كتب قبلها الى ماتمت به وليس المراد انه انشـأ كتابتها في الرقاع والعسب غير ما كتب قبلها وبالجملة فالعرضة الاخـيرة هي الاساس المعول عليه فى التلاوة والكتابة وهى المأمور بقراءتها وتلاوتها وكتابتها من عهـد النبي صلى الله عليه وسلم الى وقتنا هذا وان كانت فيما قبل عهد عثمان رضى الله عنه متلوة مكتوبة بحروفها السبعة كما نزل القرآن عليها وفى عهده حمل الناس باجماع الصـحابة على تلاوتها وكتابتها بوجه واحد كما سيأتى بيانه .

(٣٤) ﴿ الجمعة الثانية ﴾

وكانت الجمعة الثانية بحضرة ابى بكر رضي الله عنه روى البخارى فى صحيحه عن زيد بن ثابت قال ارسل الى أبو بكر مقتل اهل اليمامة فاذا عمر بن الخطاب

عنده فقال أبو بكر ان عمر أتاني فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وانى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن فيذهب كثير من القرآن وانى أرى أن تأمر بجمع القرآن فقلت لعمر كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر هو والله خير فلم يزل يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر قال زيد قال أبو بكر انك شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن قلت كيف تفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو والله خير فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح الله صدر أبى بكر وعمر فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال ووجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الانصارى لم أجدها مع غيره لقد جاءكم رسول الآية أى لم يجد صحيفتها والا فهي محفوظة فى الصدور مقروءة بالالسن ولما جمعه رضي الله عنه من الرقاع والعسب المتفرقة فى صحف من ورق وكان لا يثبت شيئا فيها الا بشاهدين كما سيأتى وضعت تلك الصحف عند أبى بكر رضى الله عنه وبقيت تحت يده حتي توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بوصية من عمر رضي الله عنه واستمرت تحت يدها حتى طلبت منها فى عهد عثمان رضي الله عنه كما سيأتى وانما اكتفى فى آية التوبة بشهادة خزيمة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل شهادته بشهادة رجلين وذكر بعضهم انه لما ولى الخلافة أبو بكر رضي الله عنه وكان قد ارتد كثير من العرب بعد موته صلي الله عليه وسلم جهز جيوشا لقتالهم ومن جملتهم جيش لقتال مسيلمة الكذاب ومن معه من المرتدين وأمر عليه خالد بن الوليد المخزومى فالتقيا وتقاتلا قتالا عظيما

انهزم فيه المسلمون واشتشهد منهم ألف ومائتان منهم سبعمائه حملة القرآن ثم تأمر البراء بن مالك ورد الهزيمة على المشركين وقتل مسيلمة وعشرة آلاف من المرتدين فلما رجعوا قال عمر بن الخطاب لابى بكر رضى الله عنهما يا أبا بكر ان القتل قد فشا في القراء وأخاف أن يذهب القرآن بذهاب حملته وأشار عليه بكتابته فقال له أبو بكر أفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى آخر ماتقدم فجعل يتتبع الرقاع والاضلاع والعسب وصدور الرجال حتي جمعه ورتبه على سبعة أوجه لقوله صلي الله عليه وسلم نزل القرآن على سبعة أحرف كلها كافية شافية فاقرأوا كيف شئتم وبقيت هذه الصحف التي جمعها زيد عند أبى بكر الى أن توفى فكانت عند عمر ثم عند بنته حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم اه وهذا يؤيد ما قدمناه من أن التلاوة والكتابة في العهد الاول كانت بالاحرف السبعة التى نزل القرآن عليها وغايته ان الامة ليست مكلفة في التلاوة بجميعها بل لها أن تقرأ بأيها شاءت وكلها قرآن صحيح متعبد بتلاوته وفى كتاب نهاية القول المفيد فان قيل كان زيد حافظا للقرآن وجامعا له فما وجه تتبعه المذكورات والجواب انه كان يستكمل وجوه قراءآته ممن عنده ما ليس عنده وكذا نظره في المكتوبات التى قد عرف كتابتها وتيقن أمرها فلا بد من النظر فيها وان كان حافظا ليستظهر بذلك وليعلم هل فيها قراءة غير قراءته أم لا واذا استند الحافظ عند الكتابة الى أصل يعتمد عليه كان آكد وأثبت في ضبط المحفوظ وفي ارشاد القراء والكاتبين ان زيدا كتب القرآن كله بجميع أجزائه وأوجهه المعبر عنها بالاحرف السبعة الواردة فى حديث ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه وكان أولا أتاه جبريل فقال له ان الله يامرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف واحد ثم راجعه الى السابعة فقال ان الله

يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرءوا عليه أصابوا

(٣٥) (اختلافهم فى المراد بالاحرف السبعة)

واختلفت أقوال العلماء فى المراد بهذه الاحرف السبعة على نحو من أربعين قولا حتي أفرده بعضهم بالتأليف مع اجماعهم على أنه ليس المراد ان كل كلمة تقرأ على سبعة أوجه وعلى انه ليس المراد قراءات القراء السبعة المشهورين والمختار كما صححه البيهقي انها اللغات كما تقدم واختلفوا في تعيينها فقال أبو عبيدة قريش وهذيل وهوازن وكنانة وتميم واليمن وقيل غير ذلك والحكمة فى انزال القرآن على سبعة أحرف التخفيف والتيسير على الامة فى التكلم بكتابه كما خفف عليهم في شريعته كما ورد أن ربي أرسل الى أن أقرأ القرآن على حرف واحد فرددت عليه ان هون على أمتي ولم يزل يردد حتى بلغ سبعة أحرف ولو كلفوا جميعا بالنطق بلغة واحدة وألسنتهم مختلفة لشق ذلك عليهم وتعسر اذ لا قدرة لهم علي ترك ما اعتادوه وألفوه من الكلام الا بتعب شديد وجهد جهيد فكان من تيسير الله تعالى كما قال الامام أبو محمد عبد الله بن قتيبة فى كتاب المشكل ان أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقرىء كل أمة بلغتهم وما جرت به عادتهم فالهذلى يقرأ عتى حين وغيره حتى حين والاسدى يعلمون وتعلمون وتسود وجوه وألم أعهد اليكم بكسر حرف المضارعة والتميمي يهمز والقرشي لا يهمز والآخر يقرأ قيل لهم وغيض الماء باشمام الضم مع الكسر وهذا يقرا عليهم وفيهم بضم الهاء وهكذا وكل ذلك ثابت بالوحى المنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم قال ابن قتيبة ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يزل عن لغته وماجرى عليه اعتياده طفلا ويافعا وكهلا لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ولا يمكنه الا بعد

رياضة للنفس طويلة وتذليل للسان وقطع للعادة فاراد الله برحمته ولطفه
أن يجعل له متسعا فى اللغات ومتصرفا فى الحركات كتيسيره عليهم فى الدين اه
وهذه اللغات والقراءة بها كانت موجودة ومعمولا بها الى عهد عثمان رضي الله
عنه فلما اختلطت قبائل العرب وعرف كل لغة الآخر وسهل على كل قبيلة
النطق بلغة القبيلة الاخرى وحدث فى عهده رضي الله عنه ما يدعوا الى حمل
الناس على القراءة بلغة واحدة أمر رضي الله عنه بجمع القرآن وكتابته وقراءته
بخط واحد ولغة واحدة كما سيأتي وأخرج ابن أبى داود بسند حسن عن عبد
خير قال سمعت عليا يقول أعظم الناس فى المصاحف أجرا أبو بكر رحمة الله على
أبى بكر هو أول من جمع كتاب الله وقال على رضى الله عنه اول من جمع كتاب
الله تعالى بالترتيب المخصوص المقبول المجمع عليه عند الامة كافة أبو بكر رضى
الله عنه وكان كاتبه عند جمعه زيد بن ثابت وكان لا يكتب آية الا بعد لين
شاهدين وأخرج ابن ابى داود من طريق يحيي بن عبد الرحمن بن حاطب قال
قدم عمر فقال من كان تلقي من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ من القرآن
فليأت به وكانوا يكتبون ذلك فى الصحف والالواح والعسب وكان لا يقبل
من أحد شيأ حتي يشهد شاهدان وهذا يدل على أن زيدا كان لا يكتفى بمجرد
وجد انه مكتوبا حتي يشهد به من تلقاه سماعا مع كون زيد كان يحفظ
فكان يفعل ذلك مبالغة فى الاحتياط ولعل الكتابة فى الالواح والعسب
كانت نادرة والا فالمشهور أن الكتابة فى جمع أبي بكر رضى الله عنه
كانت فى الصحف وأخرج بن أبى داود أيضا من طريق هشام بن
عروة عن أبيه ان أبا بكر قال لعمر وزيد اقعدا على باب المسجد فمن جاء كما
بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه رجاله ثقات مع انقطاعه قال
ابن حجر وكأنّ المراد بالشاهدين شاهدا الحفظ والكتابة وقال السخاوى
المراد أنهما يشهدان على ان ذلك المكتوب كتب بين يدى رسول الله صلى

الله عليه وسلم او المراد انهما يشهدان على ان ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن قال أبو شامة وكان غرضهم أن لا يكتب ألا من عين ما كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا من مجرد الحفظ قال ولذلك قال في آخر سورة التوبة لم أجدها مع غيره أى لم أجدها مكتوبة مع غيره لانه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة وقال السيوطى أو المراد أنهما يشهدان على ان ذلك مما عرض على النبي صلى الله عليه وسلم عام وفاته كما يؤخذ مما تقدم آخر النوع السادس عشر ثم قال نقلا عن الحارث المحاسبي فان قيل كيف وقعت الثقة باصحاب الرقاع وصدور الرجال قيل لانهم كانوا يبدون عن تأليف معجز ونظم معروف قد شاهدوا تلاوته من النبي صلى الله عليه وسلم عشرين سنة فكان تزوير ماليس منه مأمونا وانما كان الخوف من ذهاب شيء من صحفه وقد تقدم فى حديث زيد انه جمع القرآن من العسب واللخاف وفي رواية والرقاع وفى أخرى وقطع الاديم وفى أخرى والاكتاف وفى أخرى والاضلاع وفى أخرى والاقتاب جمع قتب وهو الخشب الذى يوضع على ظهر البعير ليركب عليه والاقتصار على واحد منها فى بعض العبارات تغليب وما رواه أبو الضريس فى فضائل على كرم الله وجهه انه لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف لجمع القرآن فمحمول كما قيل على الجمع فى الصدور وقيل كان جمعا بصورة أخرى لغرض آخر ويؤيده انه قد كتب فيه الناسخ والمنسوخ فهو كتاب علم لا كتاب قرآن والا فقد روى عن على رضي الله عنه انه قال رحمة الله على أبى بكر هو أول من جمع القرآن كما تقدم فالقرآن وان كان مكتوبا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤلف الآيات فى السور لكنه غير مجموع فى موضع واحد ولا مرتب السور بل كان مفرقا فى العسب واللخاف والرقاع والاكتاف والاقتاب والاضلاع مع كونه محفوظا فى الصدور على ماهو عليه

الآن فكان أول من جمعه في نسخة واحدة مرتب الآيات والسور أبو بكر الصديق بمشورة عمر رضي الله عنه كما دلت عليه الاخبار الصحيحة المترادفة وسببه ما علمت من خشية ذهابه بذهاب حملته وضياع شيء من صحائفه وقد ثبت أبو بكر رضى الله عنه فى جمعه فكان زيد وعمر رضي عنهما لا يقبلان من أحد شيئا حتى يشهد عليه شاهدان

(٣٦) ﴿ فوائد جمع أبى بكر رضى الله عنه ﴾

وقد تضمنت هذه الجمعة عدة فوائد منها البحث عن صحف الرقاع والتبثت منها وجمعها في مكان واحد كالاصل الذى يرجع اليه حتى يستتب الامر ويرسخ ويؤمن الضياع وانظر هل كانت الرقاع المجموع منها باقية على ترتيبها الذى وقع فى عهده صلى الله عليه وسلم أو تفرقت مع حفظ ترتيبها فى الصدور وتواتر التلاوة به الى وقت كتابة الصحف البكريه فما بعده فان ترتيب الآيات فى السور لم يتغير حاله فى الجمعات الثلاث ومنها تجديد كتابته على الهيئة الاولى في نسخة واحدة بالغة نهاية التحرير جامعة للاحرف السبعة التى نزل بها القرآن بحيث تكون أصلا آخر يعول عليه فى الثبوت والبقاء ويرجع اليه عند الحاجة وانظر هل كانت السور فى هذه الجمعة متصلة متعاقبة فى أوراقها كالآيات فى سورها أو ان كل سورة نسخت على حدتها مترتبة الآيات فى صحف تخصها وقد يدل له التعبير بالصحف فرقا بينها وبين المصاحف فالصحف سور مفرقه والمصاحف سور مجموعة مرتبة وعلى ذلك فترتيبها كترتيب الرقاع وكتابتها ككتابتها ولم يحدث فى هذه الجمعة الا نسخها فى تلك الصحف ويحتمل انها نسخت اجزاء أو احزابا واذا لم تكن الرقاع باقية على ترتيبها الاول كان من فوائد هذه الجمعة أيضاً

أعادة ترتيب الآيات فى السور كما كان فى عهده صلى الله عليه وسلم ومن فوائدها أيضا تجديد ماعساه أن يكون قد تأكل من حروف الرقاع والعسب التى ليس من شأنها أن تحفظ ما يرسم عليها من الحروف مدة طويلة بخلاف الصحف فانها أبقى لحفظ مايرسم بها خصوصاً اذا كانت احبارها ثابتة ومنها اتصال السند الكتابى بالاخذ عن الكتبة النبوية فى جميع آيات القرآن وعن كتابها الذين حضروا عهدها وباشروا كتابتها كاتصال السند المتواتر فى الرواية والتلقي عن الشيوخ فهي مع كتبة الرقاع بمثابة الطبقة الثانية من الشيوخ والكتبة العثمانية بمثابة الطبقة الثالثة وهكذا مرات الانتساخ من المصاحف العثمانية تعتبر بمثابة طبقات الشيوخ التي يروى بعضهم عن بعض فالصحف البكرية كانها تروى عن الصحف اللخافيه النبوية والمصاحف العثمانيه تروى عن الصحف البكرية وهكذا فيما أنتسخ منها أو كتب على قاعدتها وكل مصحف كتب على غير هذه القاعدة يعتبر مقطوع السند وتقدم عن المحاسبي ان هذه الكتبة لم تغير شيئاً من الرسم النبوى فهى كتبة حفظ وضبط واستبقاء وكذلك سائر الكتبات يجب أن لا تغير شيئا من الرسم الاصلى ولا يخفى ما فى ذلك من الاهتمام بشأن القرآن وضبطه والمحافظة على وجوده وبقائه بالرسم الثابت المتواتر ولعل توقف أبي بكر رضي الله عنه فى جمعه أولا كان لما رآه من الاكتفاء بطريق الرواية والتحمل ولأن القرآن موعود بحفظه الى يوم الدين مع ظن لزوم الاتباع فى عين ما كان عليه الامر فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما ترجح عنده بعد التثبت والنظر ما أشار به عمر رضي الله عنه انشرح صدره لذلك ووافقه عليه أحتياطا فى الامر وأزدياداً فى الخير وتابعهما زيد بن ثابت وسائر الصحابة فكان للقرآن بهذا النحو من الثبوت والحفظ طريقان طريق الكتابة وطريق الرواية

والتلقى من افواه الشيوخ وصدور الرجال وهذا الطريق يمتاز عن الاول بالاصالة والاسبقيه وتعديل الحروف والكلمات ومعرفة الوجوه والصفات وغير ذلك مما يفى به النطق ولا تؤديه رسوم الكتابة التى هى لحفظ المادة أقرب منها الى حفظ الهيئة فهو المعول عليه فى الثبوت والبقاء وان وجب على الامة المحافظة على الطريق الاول بمعنى أنه يجب عليهم أن يجددوه على نحو هذه الكتبة المأثورة ولا يجوز لهم أن يكتبوه على غيرها كما سيأتى لان القرآن شأنه واحد نظماً وخطاً فكما ان نظمه عربى معجز ذو هيئة مخصوصة لا تثبت الا بالوحي ولا تعرف الا بالرواية والتلقى عن الشيوخ كذلك رسمه عربى معجز لا يعرف الا بالاخذ عن تلك الكتبة العاليه هذه هي سنة القرآن فى الوجود المشهود خلفاً عن سلف ولن تجد لسنة الله تبديلا وقد قيض الله لحفظ وجوده الكتابى طائفة من الامة وضعوا له علم الرسم القرآنى وأسسو قواعده ودونوا مسائله وضبطوا أصوله وفروعه بحيث لو فقدت المصاحف العثمانيه كما فقدت اللخاف النبويه والصحف البكرية أو اختلف الناس في رسم أى حرف من حروفها لامكن أحياؤها والرجوع الى كتبتها بمراعاة هذا العلم وضوابطه الحافظة لنظمه وتلاوته عن الخطأ فى رسمه كما قيض الله لحفظ وجوده اللفظي ونظمه العربي طائفة من الامة وضعوا علم التجويد والقراءات لمعرفة رواياته وضبط حروفه ووقوف كلماته وحفظه من الخطأ فى النطق به واعلم أن للقرآن ما يشبه هذين النحوين من الوجود فى عالم الملكوت فقد أثبت فى اللوح المحفوظ كتابة وألقى في روع الملك تلقياً ورواية فشأنه في العالمين واحد لا يتغير ولا يتبدل ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

(٣٧) الجمعة الثالثة

وهذه الصحف البكرية الجامعة للاحرف السبعة التي نزل بها القرآن بقيت عند أبى بكر حتى توفاه الله تعالى سنة ١٣ هجرية ثم عند عمر حياته حتي توفي فى ذى الحجة سنة ٢٣ ﻫ ثم عند حفصة بنت عمر زوج النبى صلي الله عليه وسلم وفى خلافة عثمان رضى الله عنه حينما وقع تشاجر فى القراءة وادعى كل احدمن المتشاجرين ان قراءته هي الصحيحة دون الاخرى وكان القراء الذين سلموا من القتل عند فتح اليمامة في زمن أبى بكر ماتواعندفتح ارمنياواز ربيجان فى زمن عمر وعثمان رأى عثمان رضي الله عنه ان يجرد المصحف من تلك الاوجه السبعة الى وجه واحدمنها لئلا يكثر الخلاف بين الناس ويتناكروا فى القرآن الثابت بالتواتر فيقعوا فى اثم عظيم ولعدم الداعية بعد اشتهار القرآن وتعلمه واختلاط قبائل العرب الى تعدد لغاته لسهولة النطق بلغة واحدة على الكل فأحضر المهاجرين والانصار وارسل الى السيدة حفصة يسألها أن تعطيه الصحف التي عندها وحلف ليردنها اليها فارسلت اليه الصحائف التى جمعها زيد بن ثابت فى عهد أبى بكر رضي الله عنه ثم قال يامعشر المهاجرين والانصار أى الناس أعرف بالقرآن قالوا سعيد بن العاص قال وأى الناس اكتب قالوا زيد بن ثابت قال فليملل سعيد وليكتب زيد وأحضر معهما عبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وأخرج ابن أبى داود أنه جمع اثنى عشر رجلا من قريش والانصار وقال لهم اذا اختلفتم فى لغة فاكتبوها بلغة قريش فلم يختلفوا الا فى التابوت فى البقرة فقال زيد بالهاء وقال غيره بالتاء فكتبوه بالتاء

(٣٨) كتابة المصاحف العثمانيه وارسالها الى الجهات الاسلامية

وبعد ان اتموه قوبل بالصحائف البكرية فلم يختلف فى شيء فردها الى حفصة وطابت نفسه ثم أمر بنسخ أربع نسخ ثم زيد ثلاث أوأربع وأرسل بها الى الجهات وأمسك واحدة فارسل الى مكة والى الشام والى اليمن والى البحرين والى البصرة والى الكوفة وحبس بالمدينة واحدا كما أخرج ذلك ابن ابي داود من طريق حمزة الزيات والمراد بالتابوت فى الآية صندوق التوراة وهو علي وزن فعلوت من التوب وهو الرجوع لانه يرجع اليه مايخرج منه عادة فتاؤه مزيدة كتاء ملكوت واصله توبوت فقلبت واوه الفا وهى لغة قريش والوقف عليه بالتاء فى أكثر اللغات ومن وقف عليه بالهاء فأنه أبدلها من التاء ولغة الانصار تابوه بالهاء من تبه كما ذكره ابن سيده ولعل رسم هذه الكلمة فى الصحف البكرية كان بهيئة تحتمل الوجهين كأن كانت مكتوبة بتاء مفتوحة وعليها صورة هاء أو بالعكس أو مكتوبة بالتاء وفيمن كان مع زيد من لغته أنصارية فلذلك اختلفوا (انظر الالوسى واللسان) قال أبو عمر و بن عبد البر ولما اختلف الناس فى القراءة زمن عثمان واتفق رأيه ورأى الصحابة أن يردوا القرآن الى حرف واحد وقع اختيارهم على حرف زيد فامره أن يملى المصحف على قوم من قريش جمعهم اليه فكتبوه على ماهو عليه اليوم ومن هنا يعلم أن الصحف البكرية لم تكن قاصرة على لغة قريش بل كانت جامعة لها ولغيرها وهذا يؤيد ماذهب اليه السجستاني من أن المراد بقومه فى قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه هم العرب لاخصوص قريش وأن قولهم فى عثمان رضى الله عنه انه أول من جمع مصحف القرآن ليس على ظاهره فأن ابا بكر رضي الله عنه جمعه فى مصحف و بقيت هذه الصحف عند حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها الى أن ماتت فسلمها عبد الله بن عمر

لجمع من الصحابة فغسلت غسلا بل قيل قد جمعه جماعة من الصحابة أيضا ومن أشهرهم عبد الله بن مسعود ولكن الصحيح الذى عليه الجمهور أن أول من جمعه هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه

(٣٩) (سبب جمع عثمان رضى الله عنه)

ثم ان عثمان رضي الله عنه حمل الناس على القراءة بوجه واحد باختيار وقع بينه و بين من شهده من المهاجرين والانصار لما خشي الفتنه من اختلاف أهل العراق والشام فى حروف القرآن كما سيأتى فقد روى البخارى عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينيا وأذر بيجان مع أهل العراق فافزع حذيفة اختلافهم فى القرآن فقال لعثمان أدرك الامة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى فارسل الى حفصة أن أرسلى الينا الصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك فارسلت بها حفصة الى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاصي وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام فنسخوها فى المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة اذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانه انما نزل بلسانهم ففعلوا حتى اذا مانسخوا المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخه وأمر بما سواه من القرآن فى كل صفحة أو مصحف أن يحرق قال زيد ففقدت آية من الاحزاب حين نسخنا المصحف قد كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصارى قال ابن حجر وكان ذلك في سنة خمس وعشرين قال وغفل بعض من أدركناه فزعم أنه كان فى حدود سنة ثلاثين ولم يذكر له مستندا والصحف التى أمر بحرقها غير الصحف التى ردت الى

السيدة حفصة وهي ما كانت مشتملة على وجوه غير وجوه تلك الصحف من روايات ضعيفة أوشاذة أو تأويل او تقديم وتأخير وأما صحف السيدة حفصة فقد استردها بعد وفاتها مروان حين كان أميرا بالمدينة من جهة معاوية وأمر بتشقيقها وقال انما فعلت هذا لانى خشيت ان طال بالناس زمان ان يرتاب فى شأن هذه الصحف مرتاب وتقدم انها غسلت ولعله بعد تشقيقها وهل مجموعة اللخاف والعسب كذلك حرقت أوغسلت أو بقيت بمكانها حتى أسرع اليها البلا لانها لم تكتب معدة للتلاوة ولا صالحة للاستعمال والبقاء وانما كتبت موقتا لمجرد الاثبات والحفظ فليست كالصحف البكرية ولا كالمصاحف العثمانية وفى رواية أن حذيفة قال ياأمير المؤمنين أدرك الناس فقال عثمان وما ذاك قال غزوت مرج أرمينيا فحضرها أهل العراق وأهل الشام فاذا أهل الشام يقرؤن بقراءة أبي بن كعب فيأتون بما لم يسمع أهل العراق فيكفرهم أهل العراق واذا أهل العراق يقرؤن بقراءة ابن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام فيكفرهم أهل الشام قال زيد فامرني عثمان الى آخر القصة وأخرج ابن أشته من طريق أيوب عن أبى قلابة قال حدثنى رجل من بنى عامر يقال أنس ابن مالك قال اختلفوا فى القرآن على عهد عثمان حتى اقتتل الغلمان والمعلمون فبلغ ذلك عثمان بن عفان فقال عندى تكذبون به وتلحنون فيه فمن نأى عنى كان أشد تكذيباً وأكثر لحناً يا أصحاب محمد اجتمعوا فاكتبوا للناس اماماً فاجتمعوا فكتبوا فكانوا اذا اختلفوا وتدارءوا فى أى آية قالوا هذه أقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلاناً فيرسل اليه وهو على رأس ثلاث من المدينة فيقال كيف أقرأك رسول الله صلى الله عليه وسلم آية كذا وكذا فيقول كذا وكذا فيكتبونها وقد تركوا لذلك مكاناً وهذا يؤيد ما قدمناه من أن رسم الكتابة

قد لا يفى بما يؤديه النطق وان من الوجوه السبعة مالا يضبطه الرسم فيرجع الى طريق الرواية والتلقي لا فرق فى ذلك بين الرقاع النبويه والصحف البكرية والمصاحف العثمانيه ولذلك أرسل عثمان رضي الله عنه مع كل مصحف اما ما يرشد الناس الى وجه قراءته والنطق بحروفه قال الالوسي فى تفسيره وهذا الذى ذكرناه من فعل عثمان هو ما ذكره غير واحد من المحققين حتي صرحوا بان عثمان لم يصنع شيئاً فيما جمعه أبو بكر من زيادة أو نقص أو تغيير ترتيب سوى أنه جمع الناس على القراءة بلغة واحدة وهى لغة قريش محتجا بان القرآن نزل بلغتهم اه وهو ظاهر فى ان ترتيب السور كترتيب الآيات كان فى عهد أبى بكر رضى الله عنه خلافا لما ذكره الحاكم فى مستدركه قال الكرمانى ترتيب السور هكذا هو عند الله فى اللوح وعليه كان رسول الله ﷺ يعرض على جبريل كل سنه ما كان يجتمع عنده منه وعرض عليه فى السنة التي توفى فيها مرتين وقال الطيبي مثله وهو المروى عن جم غفير حتى قيل انه توقيفي وعزى الى الجمهور فالقرآن فى عهد أبي بكر رضى الله عنه كان مجموعا فى مصحف واحد منسوخا من اللخاف والعسب مترتب الآيات والسور جامعا للاحرف السبعة من لغات العرب كما تقدم ثم فى عهد عثمان رضي الله عنه سنة خمس وعشرين هجرية كتب منه عدة مصاحف مجردة عن الاوجه المتعددة الى وجه واحد وهى المعبر عنها بالاحرف السبعة خشية ان يتوسع الناس فى لغاتهم ويكثر الخلاف بينهم ويتسرب اللحن والخطأ الى القراءة والكتابة بسبب وجود تلك الاحرف التى اشتمل عليها المصحف البكرى وتناقلها الناس قراءة وكتابة على وجه لا يتيسر ضبطه الا للخاصة العارفين بها الواقفين على رسومها فكانت هذه الكتبة العثمانية مع ما احتفت به من التحفظات مؤيدة للكتبة البكرية فى الضبط والحفظ حاسمة للفتن

مانعة للخلاف والتناكر والمراء والجدل فى القرآن ولذلك لم يتوقف سيدنا عثمان رضى الله عنه فى هذا العمل حينما عرضت عليه نوازل الخلاف وما ترتب عليه من الهرج لان درأ المفسدة مقدم على جلب المصلحة مع أن أوجه القراءة اذ ذاك كانت محفوظة من طريق الرواية والتلقى عن الشيوخ وهو الطريق المعول عليه فى حفظ القرآن وضبط رواياته ولغاته التي نزل بها على أن ذلك لم يكن عن رأيه الخاص بل كان برأى جمع من الصحابة رضى الله عنهم فقد أخرج ابن أبى داود بسند صحيح عن سويد قال قال على لاتقولوا فى عثمان الا خيراً فوالله مافعل الذى فعل فى المصاحف الا عن ملأ منا قال ماتقولون فى هذه القراءة قد بلغنى أن بعضهم يقول أن قراءتى خير من قراءتك وهذا يكاد يكون كفراً قلنا فما ترى قال أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقه ولا اختلاف قلنا فنعم مارأيت وسياتى أن الاختلاف الواقع فى المصاحف العثمانية لايخرجها عن كونها مصحفاً واحداً من حيث اشتمالها على الوجه الواحد أو الاوجه الثابته المعروفة وتجردها عن غير المعروفة فى زمنه صلى الله عليه وسلم وأخرج ابن أبى داود من طريق محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثنى عشر رجلا من قريش والانصار فبعثوا الى الربعة التي فى بيت عمر فجئ بها وكان عثمان يتعاهدهم فكانوا اذا تدارءوا فى شئ أخروه قال محمد فظننت ان ما كانوا يؤخرونه لينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الاخيرة فيكتبونه على قوله اه والربعة فى اللغة جونة العطار وهى ما يضع فيه بضاعته والمراد بها الوعاء الذى وضعت فيه الصحف وبالضرورة قدرأى سيدنا عثمان ومن معه من الصحابة رضى الله عنهم ان انتشار الصحف البكرية وتداولها بين الناس على هذه الوجوه موجب للخلاف المذكور وان

الاقتصار على وجه واحد حاسم لهذه الفتنة وقد علمت ان الامة لم تكن مكلفة بحفظ الاحرف السبعة كلها بل كانت مخيرة فى القراءة بأيها شاءت وتواترها كما صرح به بعضهم اذ ذاك لا يستلزم وجوب معرفتها وان بقى كثير من حفاظها اذ ذاك لانها وجوه نزل القرآن بها وأجمع على اتباعها والاخذ برسومها وغايته انه أمر بالاقتصار على حرف منها لا سباب طارئة لو لم تكن لبقى الامر على تلاوتها والاخذ بها وهذا مثل ماعليه قراء القرآن بالروايات اليوم فان كثيرا منهم تعلم القرآن بالروايات من غير تأهل ولا أحكام ويقرأ بها فى المجالس العامة جمعا وافرادا وقد أدى ذلك الى خالل كثير في التلاوة ولو كانوا فى الصدر الاول أو كان فيهم من أهل الصدر الاول لمنعوا من القراءة بالروايات وقصروا على رواية واحدة سدا لذريعة الفساد وليس فى ذلك الغاء لتلك الروايات أو اهمالها ولكن لما لم يكن لدرء المفسدة طريق الاقصر الناس على رواية واحدة مع عدم وجوب التلاوة لجميعها تعين ذلك للوصول الى هذه الغاية ولو تعلم الناس كلهم وجوه الروايات بأحكام واستعداد تام لضبطها ومعرفة شروط ادائها لما كان هناك داع لقصرهم على القراءة برواية واحدة فكذا الامر فى كتبة المصاحف العثمانية والاقتصار على حرف واحد لو لم يقع خلاف وتناكر فى القراءة لما قصر الامر على حرفها المذكور مع كونها كفيلة بحكمة الكتبة البكرية وهى خشية أن يذهب القرآن او شيء من صحائفه بذهاب حملته فالكتبة الاخيرة هى الحاسمة الجامعة

(٤٠) (الفرق بين جمع أبى بكر وعثمان رضى الله عنهما)

قال ابن التين وغيره الفرق بين جمع أبى بكر وجمع عثمان أن جمع أبى بكر كان لخشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته لانه لم يكن مجموعاً فى موضع

واحد فجمعه أبو بكر رضي الله عنه فى صحائف مرتباً لآيات سوره على ماوقفه النبي صلى الله عليه وسلم وجمع عثمان كان لكثرة الاختلاف فى وجوه القراءة حتى قرءوه بلغاتهم على اتساع اللغات فأدى ذلك بعضهم الى تخطئة بعض فخشى من تفاقم الامر بذلك فنسخ تلك الصحف فى مصحف واحد مرتباً لسوره واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش محتجاً بانه نزل بلغتهم وان كان قد وسع فى قراءته بلغة غيرهم دفعا للحرج والمشقة فى ابتداء الامر فرأى أن الحاجة الى ذلك قد انتهت واقتصر على لغة واحدة اهـ وهو ظاهر فى أن القرآن نزل أولا بلغة قريش ثم رخص فى قراءته بلغة غيرهم أى فى بعض كلماته وأن هـذه اللغات التي كانوا يقرءون بها وأدت الى الاختلاف فى وجوه القراءة كانت فى عهده صلي الله عليه وسلم وفي عهد أبى بكر وعمر ثم لما ازداد الخلاف وتفاقم فى عهد عثمان رضي الله عنه وخشى مع طول العهد أن يؤدى التناكر فى القرآن الى الردة بعد الاسلام كما ذكره الامام الطبرى منع رضي الله عنه العمل على تلك الاحرف وقصر التعبد بالتلاوة والكتابة على وجه واحد وعليه فيكون المسوغ لنسخ المصاحف العثمانية من الرقاع والعسب مجردة عن تلك الاحرف وحمل النـاس على القراءة بحرف قريش ليس مجرد درء مفسدة الخلاف المذكور بل ولان الحاجة الى تعدد اللغات كانت فى مبدأ الامر وانتهت مع عـدم وجوب التلاوة بجميعها كما علمت وتخصيص لغة قريش لان القرآن نزل بهـا أولا ولانها أرسخ اللغات وأفصحها بل قيل ان القرآن نزل بها وان الاحرف السبعة في بطونها كما ذهب اليه بعضهم وان كان المشهور ان القرآن نزل بتلك الاحرف السبعة وانها أعم من لغة قريش وان كان لقريش الحظ الاوفر منها فى القرآن

(٤١) (الجمهور على ان المصاحف العثمانية لم تشتمل الا على حرف واحد

وعلى هذا فكتابة المصاحف العثمانية لم تشتمل الا على حرف واحد من تلك الاحرف السبعة وهو حرف قريش واليه ذهب جمهور العلماء وأئمة المسلمين قال ابن الجزرى وهذا هو الذى يظهر صوابه خلافا لما ذهب اليه جماعة من الفقهاء والقراء والمتكلمين من اشتمال المصاحف العثمانية كالرقاع النبوية والصحف البكرية على جميع الاحرف السبعة و بنوا عليه انه لا يجوز علي الامة أن تهمل نقل شيء منها وقد أجمع الصحابة علي نقل المصاحف العثمانية من الصحف التى كتبها أبو بكر وأجمعوا علي ترك ما سوى ذلك أى من الصحف المشتملة على وجوه غير معروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم من لغة العرب أو على منسوخ أو تأويل وهذه هى التي أمر عثمان رضى الله عنه بتركها وحرقها فالصحف العثمانية عند هذه الطائفة كالصحف البكريه فى جمعها للاحرف السبعة والمأمور بحرقه وكف الناس عن تلاوته صحف أخرى مشتملة على لغات غير معروفة أو على منسوخ أو تأويل أو روايات آحاد وهي التي وقع التناكر فى قراءتها والقرآن انما تثبت قرآنيته بالتواتر أو الشهرة الصحيحة والاحرف السبعة من هذا القبيل وربما يؤيد هذا ما ذكره القاضي أبو بكر فى الانتصار حيث قال لم يقصد عثمان رضى لله عنه قصد أبي بكر فى جمع القرآن بين لوحين وانما قصد جمعه على القرآءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم والغاء ماليس كذلك واخذهم بمصحف لاتقديم فيه ولاتأخير ولا تأويل أثبت مع تنزيل ولا منسوخ

تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتى بعد اه

وقد يستأنس له أيضا برد الصحف البكرية الى حفصة وعدم الامر بحرقها كما أمر بحرق غيرها مما كان غير معروف أشارة الى ان مثار الفساد والخلل ليس لما فى الصحف البكرية من تعدد الاحرف وانما هو للتوسع فى اللغات السبعة بقراءات ووجوه لم تثبت ولم تعهد فى زمنه صلى الله عليه وسلم ولو اقتصروا فى القراءة على ما اشتهر من اللغات السبع لما صنع عثمان رضي الله عنه ماصنع وعلى هذا فالكتبات الثلاثة النبوية والبكرية والعثمانية لم تختلف من حيث اشتمالها على الاحرف السبعة وان اختلفت قصدا وأثرا من جهة أخرى فالتأليف فى الزمن النبوى والجمع فى الصحف بين لوحين فى زمن الصديق والنسخ فى المصاحف المتعددة فى زمن عثمان رضي الله عنه منضما اليه أمره بحرق كل ما اشتمل على وجوه غير معروفة أو منسوخ أو تأويل وأرساله تلك المصاحف المعروفة الى الجهات وحمل الناس على اتباعها والاخذ برسومها تلاوة وكتابة وبعثه مع كل مصحف من يرشد الى وجوه قراءته فقد بعث عبد الله بن السائب مع المكى ليقرئ الناس به والمغيرة بن شهاب مع الشامى وأبا عبد الرحمن السلمي مع الكوفى وعامر بن قيس مع البصرى وأمر زيد بن ثابت أن يقرئ الناس بالمدني وكان فى تلك البلاد الجم الغفير من حفاظ القرآن من التابعين فقرأ كل مصرى بما فى مصحفه وقد علمت أن الاول هو المشهور المعروف عند جمهور العلماء وائمة المسلمين ونقل صاحب الاتقان عن الحارث المحاسبي أن المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان وليس كذلك انما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينهم وبين من شهده من المهاجرين والانصار لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في

حروف القراءات فاما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التى أنزل بها القرآن وأما السابق الى جمع الجملة فهو الصديق وقد قال على لو وليت لعملت بالمصاحف التى عمل بها عثمان اه وتقدم عنه أنه نقل أيضا عن أبى حاتم السجستانى أن القرآن نزل على سبع لغات من لغة العرب وهى لغة قريش وهذيل وتيم والازد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر وان ابن قتيبة استنكر ذلك وقال لم ينزل القرآن الا بلغة قريش محتجا بقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه وان هذه اللغات السبع فى بطون قريش وفيه أنه لادلالة فى الآية على ذلك بل الآية يصح أن توافق الطريقتين لان المراد بقومه صلى الله عليه وسلم أما قريش أو العرب فالصواب الاول كما قال ابن الجزرى

(٤٢) (اختلاف المصاحف فى الرسم لا يوجب اختلافها فى اللغة)

وسواء قلنا أن المصاحف الثمانية مشتملة على الاحرف السبعة أو مقصورة على حرف واحد فالظاهر أن جميعها كانت على صورة واحدة وأنه لا تخالف بينهما في الرسم بل كانت بشكل وحد لا يحتمل خلافا فى الدلالة والتلاوة مع أنهم ذكروا في قوله تعالى في سورة الانعام لئن أنجانا أنه مكتوب فى المصحف الكوفي بالالف وفى غيره بالتاء بعد الياء وفي قوله تعالى كانوا هم أشد منهم قوة انه كتب منكم بالكاف في مصاحف الشام وبالهاء فى غيرها وهذا ونحوه مع قول الامام ابن الجزرى وغيره في قصة بعث المصاحف وقرأ كل أهل مصر بما فى مصحفهم ظاهر فى وجود اختلاف بين تلك المصاحف والجواب ان هذا اختلاف قراءات فى لغة واحدة لا اختلاف لغات قصد باثباته انفاذ ما وقع الاجماع عليه الى اقطار بلاد المسلمين واشتهاره بينهم وانما كتبت هذه فى البعض بصورة وفى

آخر بأخرى لانها لو كررت فى كل مصحف لتوهم نزولها كذلك ولو كتبت بصورة فى الاصل وبأخرى فى الحاشية لكان تحكما مع ايهام التصحيح ومثل هذا بعد أمر عثمان رضي الله عنه وبعثه الي كل جهة ما أجمع الصحابة على الاخذ به لا يؤدى الى تنازع أو فتنة لان أهل كل جهة قد استندوا الى أصل مجمع عليه وامام يرشدهم الى كيفية قراءته والحاصل أن المصاحف العثمانية كتبت بحرف واحد وهو حرف قريش وان ذلك الحرف يسع من القراءات الصحيحة مايرسم بصور مختلفة اثباتا وحذفا وأبدالا فكتب فى بعضها برواية وفى بعضها براوية أخرى تقليلا للاختلاف فى الجهة الواحدة بقدر الامكان فكما اقتصر على لغة واحدة فى جميع المصاحف اقتصر على رسم رواية واحدة فى كل مصحف والمدار في القراءة على عدم الخروج عن رسم تلك المصاحف ولذلك لا يحظر على أهل أى جهة أن يقرءوا بما يقتضيه رسم الجهة الاخرى وتقدم فى بيان ضابط القراءة المعتد بها أن المعول عليه صحة السند وأن مخالفة المصاحف العثمانية منها ماهو مردود ومنها ماهو غير مردود وذكر الامام محمد بن جرير الطبرى (١) فى تفسيره أن امام المسلمين وأمير المؤمنين عثمان بن عفان رحمه الله تعالى جمع المسلمين على حرف واحد ومصحف واحد نظرا منه اليهم واشفاقا عليهم ورأفة منه بهم حذار الردة بعد الاسلام والدخول فى الكفر بعد الايمان اذ ظهر من بعضهم بحضره وفي عصره التكذيب ببعض الاحرف السبعة التى نزل عليها القرآن مع سماع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منه عليه السلام النهى عن التكذيب بشىء منها وأخباره اياهم أن المراء فيها

---

(١) ابن جرير هو الامام الجليل المجتهد أبوجعفر الطبرى من أهل طبرستان ولد سنة أربع أوخمس وعشرين ومائتين وقرأ القرآن على سليمان ابن عبد الرحمن الطلحي [illegible] وسمع عن الثقات

كفر فحملهم رحمة الله عليه اذ رأى ذلك ظاهرا بينهم فى عصره وبحداثة عهدهم بنزول القرآن وفراق رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم علي ما أمن عليهم معه عظيم البلاء فى الدين من تلاوة القرآن على حرف واحد وجمعهم على مصحف واحد وحرف واحد وترك ماعدا المصحف الذى جمعهم عليه وعزم علي كل من كان عنده مصحف مخالف للمصحف الذى جمعهم عليه أن يحرقه فاستوثقت له الامة على ذلك الطاعة و رأت أن فيما فعل من ذلك الرشد والهداية فتركت القراءة بالاحرف الستة التى عزم عليها أمامها العادل فى تركها طاعة منها له ونظرا منها لانفسها ولمن بعدها من سائر أهل ملتها حتي درست من الامة معرفتها وتعفت آثارها فلا سبيل لاحد اليوم الى القراءة بها لدثورها وعفو آثارها وتتابع المسلمين على رفض القراءة بها

الاجلة وله تصانيف عديدة فى علوم كثيرة منها كتاب التفسير وكتاب التاريخ وكتاب اختلاف العلماء وتاريخ الرجال من الصحابة والتابعين وابتدأ كتاب البسيط فخرج منه كتاب الطهارة فى نحو الف وخمسمائة ورقة وخرج منه أكثر كتاب الصلاة وآداب الحكام وكتاب المحاضر والسجلات وغير ذلك وجمع من العلوم مالم يشاركه فيه أحد من أهل عصره فكان حافظا لكتاب الله تعالى بصيرا بالمعانى فقيها فى أحكام القرآن عالما بالسنة وطرقها صحيحها وسقيمها ناسخها ومنسوخها عارفا باقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم وحكي أنه مكث أربعين سنة فكتب فى كل يوم منها أربعين ورقة وحسبوا له منذ بلغ الحلم الى أن مات تصنيف أربع عشرة ورقة كل يوم . وتوفى آخر شوال سنة ٣١٠ ودفن بداره فى رحبة يعقوب وصلي على قبره عدة شهور ليلا ونهارا ورثاه خلق كثير من أهل الدين والادب رحمه الله رحمة واسعة (انظر طبقات الشافعية الكبرى للامام تاج الدين ابن السبكي)

من غير جحود منها بصحتها وصحة شيء منها ولكن نظرا منها لانفسها ولسائر أهل دينها فلا قراءة اليوم للمسلمين الا بالحرف الواحد الذى اختاره لهم امامهم الشفيق الناصح دون ما عداه من الاحرف الستة الباقية فان قال بعض من ضعفت معرفته وكيف جاز لهم ترك قراءة اقرأهموها رسول الله صلي الله عليه وسلم وأمرهم بقراءتها قيل ان أمرهم بذلك لم يكن امر ايجاب وفرض وانما كان أمر اباحة ورخصة لان القراءة بها لو كانت فرضا عليهم لوجب أن يكون العلم بكل حرف من تلك الاحرف السبعة عند من يقوم بنقله الحجة و بقطع جهيزة العذر و يزيل الشك من قراءة الامة وفى تركهم فعل ذلك كذلك أوضح دليل على أنهم كانوا في القراءة بها مخيرين بعد أن يكون من نقلة القرآن من الامة من يجب بنقله الحجة ببعض تلك الاحرف السبعة فاذا كان ذلك كذلك لم يكن القوم بتركهم نقل جميع القراءات السبع تاركين ما كان عليهم نقله بل كان الواجب عليهم من الفعل مافعلوا اذ كان الذى فعلوا من ذلك هو النظر للاسلام وأهله فكان القيام بفعل الواجب عليهم بهم أولى من فعل مالوفعلوه كانوا الى الجناية على الاسلام وأهله أقرب منهم الى السلامة من ذلك فان قال لنا قائل فهل لك من علم بالالسن السبعة التى نزل بها القرآن وأى الالسن هي من ألسن العرب قلنا أما الالسن التى قد نزل القرآن بها فلا حاجة بنا الى معرفتها لانا لو عرفناها لم نقرأ اليوم بها مع الاسباب التى قدمنا ذكرها وقد قيل ان خمسة منها لعجز هوزان واثنتين منها لقريش وخزاعة اه

(٤٣) منع كتابة القرآن بغير الخط العثمانى والسر فى ذلك

و يقرب من المعنى الذى لاجله قصر الصحابة كتابة المصحف على وجه واحد وترك ماسواه المعنى الذى لاجله منع الفقهاء كتابة القرآن

بغير الخط العثماني لان الترخيص في رسمه بأي خط كان مع كونه مخالفا لرسم الصحابة وهم أئمة الدين وخير من يقتدى بهم بل ومخالفا للتوقيف النبوى كما تقدم أدعى الى التحريف والتبديل وتسرب الخلل الى قراءة القرآن وكتابته لكثرة الخطوط واختلاف أنواعها وأشكالها وكلها دون هذه الكتبه متساوية اقداما بلا فرق بين كتبة وكتبة فاذا سوغنا الخروج عن الكتبة التوقيفيه مع اجماع الصحابه عليها تنوعت كتابة القرآن وتعددت رسومها المتزايده بتزايد المصطلحين على رسوم الكتابة مدى الايام وذلك أدعى للخلاف والتغيير والتبديل في رسم القرآن وتلاوته وخصوصا ما كان منها سقيما معجما لا يكاد يقرأ وهذا كما تقدم في توجيه اختصاص انزال القرآن باسلوب واحد وهو الاسلوب العربى المعجز مع عموم بعثته صلى الله عليه وسلم للكل حيث قالوا لو تعدد نظم الكتاب المنزل عليه صلى الله عليه وسلم حسب تعدد السنة الامم لكان أدعى الى التنازع واختلاف الكلمة وتطرق ايدى التحريف والتغيير فكذلك نظم هذه الكتبه المجمع عليها وما احتوت عليه من الاسرار والدقائق مما لا يحتوى عليه رسم آخر لو رخص في غيرها من الكتبات الاخرى التى لا تقف عند حد لادى ذلك الى التحريف والتغيير فى رسم القرآن وتلاوته فوجب الاخذ بتلك الكتبه الاولى واختصاص القرآن برسمها كما اختص الانزال بالنظم العربى المعجز بحيث لا يجوز الخروج عنها الى غيرها من رسوم الكتابة الاخرى على انك قد علمت ان هذه الكتبة مستمدة من كتبته صلي الله عليه وسلم وكتابها كتابها فتعتبر صورة للقرآن القديم ومجلي من مجاليه مشتملا علي اسرار لا يحيط بها الا اللطيف الخبير فالعدول عنها الى كتبة آخرى كالعدول عن أسلوبه العربي المعجز الى اسلوب أخر من لغته أو من لغة أخرى وقد سئل مالك رضي الله عنه هل

يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء فقال لا الا على الكتبة الاولى رواه الداني في المقنع ثم قال ولا مخالف له من علماء الامة وقال في موضع آخر سئل مالك عن الحروف في القرآن مثل الواو والالف أترى أن تغير من المصحف ان وجد فيه كذلك قال لا قال أبو عمرو ويعني الواو والالف المزيدتين في الرسم المعدومتين في اللفظ نحو أولوا وقال الامام احمد يحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أو ياء أو ألف أو غير ذلك وقال البيهقي في شعب الايمان من يكتب مصحفا فينبغي أن يحافظ علي الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوه شيئا فانهم كانوا اكثر علما واصدق قلبا ولسانا وأعظم أمانة فلا ينبغي ان نظن بانفسنا استدراكا عليهم وحكى بعضهم أنه قد اجمع على كتابة المصاحف العثمانية اثناعشر الفا من الصحابة رضي الله عنهم فيجب على كل مسلم أن يقتدى بهم وبفعلهم لقوله صلى الله عليه وسلم أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهديتم وقوله اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر فانهما حبل الله المدود من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى فلزم اتباعهم فما كتبوه بواو فواجب أن يكتب بواو وما كتبوه بغير واو فيجب أن يكتب بغيرها وهكذا وما كتبوه متصلا أو منفصلا فواجب ان يكتب كذلك وما كتبوه من التاءات مفتوحا أومربوطا فواجب أن يكتب كذلك وقد علمت أن رسم القرآن سنة متبعة وسر من الاسرار الالهية المختصة فالطاعن في هجائه كالطاعن في تلاوته والمغير والمبدل فيه كالمغير والمبدل في أسلوبه ونظمه والقاعدة العربية كما في الاتقان وغيره ان اللفظ يكتب بحروف هجائه مع مراعاة الابتداء والوقف عليه وقد مهد له النحاة أصولا وقواعد وقد خالفها في بعض الحروف المصحف الامام فيجب اتباعه في كتابة القرآن ولا يجوز مخالفته محافظة علي حدود كتاب

الله تعالى وصيانة له من تطرق الخلل وتحريف الكلم اه فانه اذا لم يحافظ علي هذا الرسم المجمع عليه من سلف الامة وخلفها وأبيح رسمه باى خط كان لادى ذلك الى تحريف القرآن وتغيير النطق بحروفه وكلماته وان صح وحفظ لقوم أعتادوا رسوه لا يحفظ لآخرين لم يعتادوا تلك الرسوم والكتبة الاولى أحق بالالتزام وأولى ان يعتادها الكل فى كتاب الله تعالى دون غيره كتابة وقراءة سدا لهذه الذريعة وحماية لجانب القرآن المقدس واتباعا للسنة وسلف الامة حتي يكون مختصا بهذه الميزه لا يشاركه فيها غيره من كتب البشر فيكون بعيدا فى رسمه عن رسمها كما هو بعيد فى نظمه عن نظمها فكما امتاز القرآن فى صدر الاسلام بأصل الكتابة واهتمت النبوة بشأنه فأمرت بكتابته ونهت عن كتابة غيره خشية الالتباس والضياع ينبغى أن يمتاز بشكل من أشكال الكتابة لا يزاحمه فيه غيره ولا شك أن أحق الاشكال بالاتباع شكل الرسم المأثور عنه صلى الله عليه وسلم واتفق عليه الصدر الاول وأمر الصحابة به

(وكل خير في اتباع من سلف * وكل شر فى ابتداع من خلف)

(٤٤) يجب المبادرة باصلاح ما كتب من القرآن على غير الرسم العثمانى أو غسله

ولقد احدث الناس خطوطا كثيرة وطبعت مصاحف برسوم مختلفه وخطت بأيدى جهلة لا يفقهون قواعد الرسم ولا يعرفون أصول الكتابة فمثل هؤلاء لا يعبأ بهم ولا يعول على رسمهم بل يجب على الامة اذا روا مصحفا مخطوطا أو مطبوعا مخالفا للرسم الاصلي أن يبادروا باصلاحه أو حرقه أو غسله كما انه يجب على

من رأى لحناً فى مصحف زيادة أو نقصاً أن يبادر باصلاحه و يعد آثماً بتأخيره و بالجملة فالواجب على الامة الاخذ بالكتبة الاولى واتباع رسومها مع ما فيها من مخالفة القياس الخطى فان الخط العثمانى لا يقاس ولا يقاس عليه اذ لا يدخله النظر والاجتهاد وقد تقدم ان فيه شيئا من التوقيف ان لم يكن بوحي ظاهر فبوحي باطن لا مرية فيه وقد جعلت المصاحف العثمانية طريقا لتعميم ثبوت القرآن وسداً لذريعة ماعساه أن يقع بين الناس من النزاع فى القراءة وخصوصا فى الجهات النائية عن مقر الشيوخ الحافظين الضابطين الذين يرجع اليهم فى كيفية النطق والاداء فكان وجودها بين الامة اذ ذاك بمنزلة طبقات الشيوخ فى الجهات بل وجود كل مصحف عثمانى فى جهة بمثابة وجود طبقة الصحابة الذين رسموه وأجمعوا على اتباعه وسلوك منهجه وكل ما نقل منه على رسمه أو كتب على قاعدته فهو بمثابته أذ ليس المقصود اتباع عين الكتبة الاولى اذ هي مما يبلى و يزول وانما المقصود نوعها والمحافظة على اشكالها ورسومها وكثيراً ما توافق الرسم العرفي وقد تخالفه فى مواضع مخصوصة وكلمات محصورة معدودة تصدى لجمعها و بيان مناسباتها و وجه اختلاف رسمها بقدر المستطاع كثير ممن عنوا بفن الرسم العثمانى ومعرفة دقائقه منها قوله تعالى بنيناها بأييد بياءين بين الالف والدال وقوله تعالى من نبأى المرسلين بياء بعد الالف من نبأ وقوله تعالى من ملائيه ومن ملئيهم بياء قبل الهاء فيهما فهذا ونحوه مما يجب اتباعه فى كتابة المصاحف القرآنية اقتداء بالصحابة رضوان الله عليهم اما فى غيرها فيكتب بأيد بياء واحدة لان الهمزة فيه أول كلمة فتصور ألفا كغيرها من الهمزات الواقعة أولا وهكذا وتكتب تاء التأنيث فى نحو رحمة ونعمة وقسمة بالهاء لان الوقف عليها بالهاء على الصحيح و بعضهم يقف عليها بالتاء وهى لغة قليلة فتكتب

بالتاء موافقة للوقف بلا فرق بين موضع وموضع بخلاف ذلك في رسم المصحف الكريم فانها تكتب بالتاء في مواضع و بالهاء في مواضع أخرى كما بينه ابن الجزري في منظومته و بالجملة فعلم الرسم الخلفي علم واسع وصناعة دقيقة

(٤٥) (علم الرسم السلفي ورسوخ الصحابة فيه)

وأوسع منه وأدق علم الرسم السلفي وهو رسم المصحف الامام ومن تأمل في رسمه وما اشتمل عليه من الاسرار والدقائق علم أن الصحابة كانوا أعرف الناس بهذا الفن خصوصا الذين كتبوا القرآن الكريم وان كان بعض حروفه بالاملاء والتلقين منه صلى الله عليه وسلم وفي روح المعاني للعلامة الالوسي والظاهر ان الصحابة كانوا متقنين رسم الخط عارفين مايقتضي ان يكتب وما يقتضى ان لا يكتب وما يقتضى ان يوصل وما يقتضي ان لا يوصل الى غير ذلك لكن خالفوا القواعد في بعض المواضع لحكمة و يستأنس لذلك بما أخرجه ابن الانباري في كتابه التكملة عن عبد الله بن فروخ قال قلت لابن عباس يا معشر قريش أخبروني عن هذا الكتاب العربي هل كنتم تكتبونه قبل أن يبعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم تجمعون منه ما اجتمع وتفرقون منه ما افترق مثل الالف واللام والنون قال نعم قلت وممن أخذتموه قال من حرب بن أمية قلت وممن أخذه حرب قال من عبد الله بن جدعان قلت وممن أخذه عبد الله بن جدعان قال من أهل الانبار قلت وممن أخذه أهل الانبار قال من طارئ طرأ عليهم من أهل اليمن قلت وممن أخذ ذلك الطارئ قال من الخلجان بن القسم كاتب الوحي ليهود النبي عليه السلام اه قال وفي كتاب محاضرة الاوائل ومسامرة الاواخر أن أول من اشتهر بالكتابة في الاسلام من الصحابة

أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وأبي بن كعب وزيد بن ثابت رضى الله تعالى عنهم والظاهر انهم لم يشتهروا فى ذلك الا لاصابتهم فيها والقول بان هؤلاء الأئمة وسائر الصحابة لم يعرفوا مخالفة رسم الالف أى فى قوله تعالى لا أذبحنه بزيادة الالف لما يقتضيه قوانين أصل الخط وكذا سائر ما وقع من المخالفة مما لا يقدم عليه من له أدنى أدب وانصاف اه يشير بذلك إلى رد ما ذكره ابن خلدون في مقدمته ونقله عنه في صدر عبارته فراجعه وقوله لكن خالفوا الخ ظاهره ان ذلك كان باجتهاد منهم وقد علمت ان رسم القرآن خارج عن النظر والاجتهاد وان منه مالا يدرك سره الا من أنزل عليه الكتاب وان بعضه بالوحي والتوقيف وبعضه بالصناعة والتعلم

(٤٦) (أنواع الكتابة وأصل الخط العربى)

وذكر ابن خلكان وغيره ان أنواع الكتابة اثنا عشر نوعا وهي الحميرية والقبطية والبربرية والاندلسية واليونانية والهندية والصينية والرومية والسريانية والفارسية والعبرانية والعربية وقال ابن اشته فى كتاب المصاحف بسنده عن كعب الاحبار أن أول من وضع هذه الانواع آدم عليه السلام كتبها فى طين وأحرقه ودفنه قبل موته بثلاثمائة سنة وبعد الطوفان أصاب كل قوم كتابا فتعلموه بالهام ونقلوا صورته واتخذوه أصل كتابهم وبقى الكتاب العربى حتى خص الله به اسماعيل عليه السلام فأصابه وهو أول من تكلم بالعربية إلهاما من الله تعالى وفى صبح الاعشي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان أول من وضع الحروف العربية ثلاثة رجال من بولان قبيلة من طى نزلوا مدينة الانبار وهم مرامر بن مرة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة اجتمعوا فوضعوا حروفا مقطعة وموصولة ثم قاسوها على هجاء السريانية فأما مرامر فوضع الصدر وأما أسلم ففصل

ووصل وأما عامر فوضع الاعجام ثم نقل هذا العلم الى مكة وتعلمه من تعلمه وكثر فى الناس وتداولوه وقضية هذا إن الاعجام موضوع مع وضع الحروف وروى أن الصحابة رضوان الله عليهم جردوا المصحف من كل شئ حتى من النقط والشكل

(٤٧) نقط المصاحف وشكلها ووضع الفواصل بين رؤس الآى

وروى أن أول من نقط المصاحف ووضع العربيه أبو الاسود الدؤلى من تلقين على كرم الله وجهه وأما الشكل فقيل أن أول من بدأ به فى المصحف أبو الاسود وقيل هو نصر بن عاصم الليثي وهو الذى خمسه وعشره وقيل هو يحي بن يعمر وهو من أجلة تابعى البصريين وأكثر العلماء علي أن ابا الاسود جعل الحركات والتنوين لاغير وان الخليل بن أحمد هو الذى جعل الهمزة والتشديد وقد رخص فى نقط المصاحف وشكلها بالاعراب جماعة منهم ربيعه بن عبد الرحمن وابن وهب وصرح الشافعى بانه يندب نقط المصحف وشكله أما تجريد الصحابة له من ذلك فكان حين ابتدا الجمع حتى لا يدخل بين دفتى المصحف شيء سوى القرآن ولذلك كرهه من كرهه اه ملخصا من الجزء الثالث ولا يعد مثل ذلك اخراجا للكتبه الاولى عن نوعها المطلوب فان النقط والشكل اضافة هيئة لها مع بقاء أصلها كما هو لزيادة الضبط والبيان وقد يعد مثل ذلك من التفسير فقد عرفوه بما يشمل بيان كيفية النطق بالقرآن وكذلك وضع الفواصل بين رءوس الآى ورموز أحكام الوقف والابتداء على أن تجريد المصاحف من النقط والشكل انما كان للاستغناء عنها بمعرفة رسم الحروف المعجمة والمهملة وتمييز كل منهما عن الآخر وبسلائقهم الغنية عن بيان الاعراب أما بعد فساد الالسن

واختلاف الرسوم وتشابه أوضاع الحروف فقد توفرت الداعية للنقط والشكل وأصبح ذلك فى القرآن أمراً لازما وعلى ذلك جرى المسلمون فى طبع المصاحف وكتابتها وأنها بحمدالله تعالى ومزيد فضله على الاسلام والمسلمين خالية من التبديل والتحريف وأعد لها خطا ورسما وأقومها ضبطا وصيانة فى زمننا هذا بل وقبله بقرون المصحف الشريف الذى طبع الآن بمصر فى عهد صاحب الجلالة ملك مصر فؤاد الاول وقد جاء فى تعريفه أنه كتب وضبط على ما يوافق رواية حفص بن سليمان بن المغيرة الكوفى لقراءة عاصم بن أبى النجود عن أبى عبدالرحمن السلمى عن عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وزيد بن ثابت وأبي بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم وأخذ هجاؤه مما رواه علماء الرسم عن المصاحف التي بعث بها عثمان بن عفان الى البصرة والكوفة والشام ومكة والمصحف الذى جعله لاهل المدينه والمصحف الذى اختص به نفسه وعن المصاحف المنتسخة منها وقد قام بتصحيحه ومراجعته على أمهات كتب الرسم والضبط والقراءات مراجعة دقيقة الاستاذ الشيخ محمد بن على بن خلف الحسينى شيخ المقارى المصرية الآن وهو الذى كتبه بخطه والاستاذ حفنى بك ناصف المفتش الاول للغة العربية بوزارة المعارف العمومية والاستاذ الشيخ مصطفى عنانى والشيخ أحمد الاسكندرى المدرسان بمدرسة المعلمين الناصرية والاستاذ الشيخ نصر العادلى رئيس المصححين بالمطبعة الاميرية تحت أشراف المشيخة الازهرية الجليلة وقد وفق الله تعالى جلت قدرته فتم طبع هذا المصحف الكريم فى اليوم السابع من شهر ذى الحجة لسنة اثنين واربعين وثلثمائة وألف من هجرة خاتم المرسلين فى عهد حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول ملك مصر المعظم الذى وجه عنايته السامية الى انجازه واتقانه تعجيلا للفائدة المرجوة والغاية المبتغاة من نشره فى العالم الاسلامى

وأبتغاء لحسن المثوبة من الله سبحانه ولجميل مرضاته فانجز طبعه على احسن مايرام من الاتقان والاحكام فى عهد جلالته المبارك وعصره السعيد اه فجزى الله العاملين فى رسمه والساعين فى طبعه ونشره أحسن الجزاء ويا حبذا لو وفق ولاة الامور لمنع طبع المصاحف الشريفة فى القطر المصرى الا على هذه الكتبة المحررة حتى يتوحد المصحف الشريف ويمتاز برسم يخصه ويظهر القرآن الكريم فى هذه الصورة المأثورة عن الصحابة وسلف الامة محفوظاً من التغيير والتبديل وان يطبع منه عدد وافر ويبعث بجانب منه الى البلاد الاسلامية وينصح الى أهل كل جهة بوجوب اتباعه والاخذ برسمه فيما يخطون ويطبعون وترك ماسواه من المصاحف التى لم تكن على هذه الكتبة كما صنع عثمان رضى الله عنه حيث كتب عدة مصاحف وأرسل منها الى الجهات وأمر باتباعها والقراءة عليها وترك ماسواها من الصحف الاخرى لو صنعوا ذلك لنصحوا لكتابهم وأحيوا سنة رسولهم صلى الله عليه وسلم وسنة الخلفاء الراشدين من بعده ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا

(٤٨) (النصيحة لكتاب الله تعالى)

وقد ذكر العلماء كما قاله الامام النووى أن من النصيحة الواجبة لكتاب الله تعالى تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وأقامة حروفه والذب عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاعنين والتصديق بما فيه والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه وأمثاله والاعتبار بمواعظه والتفكر فى عجائبه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه ونشر علومه والدعاء اليه والى ماذكرنا من نصيحته اه ولا شك أن التزام هذه الكتبة السلفية مما يؤدى الى أقامة حروفه وتلاوته حق تلاوته

ولله الحمد قد عنى المسلمون بكل هذه النصائح ولا يزال القرآن مضبوطا بالكتابة محفوظا بالرواية والتلقي عن الثقات الضابطين خلفا عن سلف وفى المسلمين بكل الاقطار وخاصة بالقطر المصرى عدد عظيم من الحفاظ والقراء .

(٤٩) حفظ القرآن وصيانته من التحريف

ولا يزال القرآن كذلك محفوظا الى يوم الدين تحقيقاً لوعد الله الذى لا يخلف وعده فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد قال الله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون أى من كل ما يقدح فيه من زيادة أو نقص أو تحريف أو تبديل ولم يحفظ الله تعالى كتابا من الكتب السماوية كما حفظ القرآن الكريم بل استحفظها جل ذكره الربانيين والاحبار وحملهم عبأها وألزمهم أمانتها فوقع فيها ماوقع من التبديل والتغيير وتولى سبحانه حفظ القرآن وصيانته ليبقى آية ناطقة بالحق وحجة قائمة على العالمين أبد الدهر ومعجزة دائمة لخاتم أنبيائه صلوات الله عليهم الى يوم الدين ومن تمام حفظه حفظ سنة النبي صلى الله عليه وسلم لانها مبينة له كما قال تعالى وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم مرغبة فى حفظه والتعبد بتلاوته ناهية عن نسيانه وتركه فقد أخرج مسلم من حديث أبى أمامة أقرءوا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه وفى الصحيحين من حديث ابن عمر لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار وروى الترمذى من حديث ابن مسعود من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها وعن انس رضى الله عنه مرفوعا نوروا منازلكم بالصلاة وقراءة القرآن وصرح النووى فى الروضة وغيرها

بان نسيانه كبيرة لحديث أبي داوود وغيره عرضت على ذنوب أمتي فلم أر ذنبا أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها وفى الصحيحين تعاهدوا القرآن فو الذى نفس محمد بيده لهو أشد تفلتا من الابل فى عقلها أنظر تمامه في الاتقان وغيره

(٥٠) (حفظ السنة النبوية)

وقد تصدى لحفظ السنة وضبط رواتها وترتيب أبوابها رجال ثقات من أئمة الدين وهم طائفة المحدثين خلفا عن سلف الا انها لم تكن فى عصر الصحابة وكبار التابعين مدونة ولا مرتبة الابواب كما هي عليه اليوم لاستغنائهم عن تدوينها اذ ذاك لقوة الحفظ وصفاء الذهن ورسوخ الملكة وحضور الذاكرة فكانت صدورهم أناجيلهم يرجعون اليها كما يرجع الانسان الى الكتب ولانهم كانوا قد نهوا أولا عن كتابتها ميزة للقرآن وخشية أن يتكلوا على الكتابة فتضيع فضيلة الحفظ والضبط المتوفرة في نفوسهم تمام التوفر فلما كان زمن عمر بن عبد العزيز على رأس المائة وتنوعت الالسن وقصرت الافهام وتساهل الناس فى الرواية والحفظ أمر بتدوين الحديث فاول من دونه بأمر عمر بن عبد العزيز الشهاب الزهرى وأما الجمع مرتبا على الابواب فوقع فى نصف القرن الثاني فأول من جمع ذلك ابن جريج بمكة ومالك وابن اسحاق بالمدينه وهشام بواسط ومعمر باليمن وابن المبارك بخراسان والربيع ابن صبيح وسعيد بن أبي عروبة وحماد بن أبى سلمة بالبصرة وسفيان الثورى بالكوفة والاوزاعي بالشام وجرير ابن عبد الحميد بالرى وكل هؤلاء كانوا فى عصر واحد فلا يدرى ايهم اسبق كما قال الحافظ العراقي والحافظ بن حجر

(٥١) (رفع العلم فى آخر الزمان)

وبالجملة فالعلماء القائمون بحفظ العلوم الشرعية وتدوينها قائمون بحفظ الكتاب والسنة وكلها لا تزال محفوظة بين الامة مصونة عن اللبس والدخل الى ان يرفعه الله تعالى من الصدور والكتب آخر الزمان قبل يوم القيامة كما جاء في كثير من الاخبار فقد اخرج البيهقي والحاكم وصححه وابن ماجه بسند قوى عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدرس الاسلام كما يدرس وشى الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صدقة ولا نسك ويسرى على كتاب الله تعالى فى ليلة فلا يبقى فى الارض منه آية ويبقى الشيخ الكبير والعجوز يقولون ادركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله الا الله فنحن نقولها واخرج ابن مردويه عن ابن عباس وابن عمر قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياايها الناس ما هذه الكتب التي بلغنى أنكم تكتبونها مع كتاب الله تعالى يوشك أن يغضب الله تعالى لكتابه فيسرى عليه ليلا لا يترك فى قلب ولا ورق منه حرفا الا ذهب به فقيل يارسول الله فكيف بالمؤمنين والمؤمنات قال من أراد الله تعالى به خيرا أبقي في قلبه لا اله الا الله واخرج ابن ابى حاتم والحاكم وصححه عن أبى هريرة قال يسرى على كتاب الله فيرفع الى السماء فلا يبقي فى الارض آية من القرآن ولا من التوراة والانجيل والزبور فينتزع من قلوب الرجال فيصبحون فى ضلالة لا يدرون ماهم فيه وأخرج الديلمي عن ابن عمر مرفوعا لا تقوم الساعة حتي يرجع القرآن من حيث جاء له دوى حول العرش كدوى النحل فيقول الله عز وجل مالك فيقول منك خرجت واليك أعود أتلى ولا يعمل بى وأخرج محمد بن نصر نحوه موقوفا على عبد الله بن عمرو بن العاص واخرج غير واحد عن ابن مسعود أنه

قال سيرفع القرآن من المصاحف والصدور ثم قرأ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك الآية وفي البهجة أنه يرفع أولا من المصاحف ثم يرفع لا عجل زمن من الصدور والذاهب به هو جبريل عليه السلام كما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده فيالها من مصيبة ما أعظمها و بلية ما أوخمها انظر الالوسي في تفسير قوله تعالى ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا وقد أخذ القرآن بل والسنة وعلوم الشريعة في الرفع من الآن فان عامة الناس بل وخاصتهم من العلماء قل من يعني منهم بحفظ كتاب الله وسنة رسوله والمشتغلون بتعلم القرآن من أولاد المسلمين أصبحوا الآن في غاية القلة ذكر القرطبي أن رفع القرآن على هذه الكيفية الواردة في الاحاديث انما يكون بعد موت عيسى عليه السلام وهدم الحبشة الكعبة فلا حول ولا قوة الا بالله .

(٥٢) (خاتمة في تبليغ القرآن واحكام الدين)

تقدم في المقالة الرابعة في حكم ترجمة القرآن ان تبليغ نظم القرآن وأسلوبه العربي انما هو بالنسبة الى من يمكنه أن يقرأ باللغة العربية فيطلب تبليغه للهداية والتحمل والتعبد بتلاوته وحفظه والاحتجاج به وتأدية القدر المطلوب منه في الصلاة وأما من لا يمكنه القراءة بها من أهل اللغات الاخرى فانما يبلغ أحكام الدين بترجمتها من لغته ويجب عليه تعلم اللغة العربية لتأدية مايطلب منه وجوبا و يندب له فيما يطلب منه ندبا لان الوسيلة تعطى حكم مقصدها فتبليغ أحكام الدين عام للعربي وغيره فمن أحسن اللغة العربية بلغ بها ومن لم يحسنها بلغ بالترجمة والتفسير وأما نظم القرآن الكريم واسلوبه العربي فلا يبلغ الالمن أحسن لغته لما علمت ان ترجمته الحرفية بالمثل غير مقدورة و بدون المثل لا تجوز ولا تجدي وأما ترجمته التفسيرية فكسائر

التفاسير العربيـة جائزة بشرط أن يكون تفسيرها مستمدا من الاحاديث النبوية الصحيحية وعلوم اللغة العربية والاصول المقررة في كتب الشريعة الاسـلاميه وبذلك تعـلم أن تعميم الرسالة للبشر لا يتوقف على ترجمـة القرآن وانما يتوقف على تبليغ احكامه وسبيله أن تترجم أحكام الاسلام التى تضمنها القرآن والسنة من عقائد وعبادات ومعاملات وغيرها ترجمة صحيحة وافية مشفوعة ببيان أسرار التشريع ومقاصـده ثم يبلغ ذلك لجميع الامم لا فرق بين عربى وغيره وطرق التبليغ مختلفة فتارة يكون بالمشافهة بواسطة وغير واسطة وتارة بالمكاتبة وارسال الرسائل كما وقع له صلي الله عليه وسلم وهو مبعوث الى الثقلين فقد بلغ ما أوحى اليـه من الاحكام بهذا الطريق فبلغ الحاضر بنفسه وأمر الشاهد ان يبلغ الغائب وأرسل للغائب رسولا تارة و بعث اليه بكتاب تارة أخرى واقتفى أثره فى ذلك الخلفاء الراشدون والعلماء العاملون وهذا النوع من الترجمة والتبليغ على هذا الوجه اصبح الآن من فروض الكفاية على جماعة المسلمين فاذا قاموا به فقد أدوا حق الله وحق الاسلام وأجابوا داعى الله كما قال تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون وبذلك تنتهي حاجة من لا يعرف لغة القرآن واحكام الاسلام وبه تتحقق الدعوة اليه والانذار به فاذا عرف محاسن الاسلام وشرح الله صدره اليه وسمت نفسه الى تعلم لغة القرآن وتعلمها فعند ذلك يبلغ اليه القرآن بلسانه العربي ويخاطب بحكم التحمل له والتعبد بتلاوته والاحتجاج بآياته والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسـلم تم تحريرا يوم الاحد ١٥ ذى القعده سنة ١٣٤٣ على يد أفقر العباد وأحوجهم الى مولاه الرءوف محمد بن حسنين بن محمد مخلوف العدوى المالـكى غفر الله له ولوالديه والمسلمين

قد اطلع حضرة الاستاذ الثبت الثقة الشيخ محمد على خلف الحسينى شيخ القراء بالديار المصرية على هذه الرسالة وكتب هذه الكلمة الآتية فشكرنا له

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

حمداً لمن تكفل بحفظ الذكر الحكيم من عبث الانس والجان . واختص من شاء من عباده فهداه الى علوم التبيان . وصلاة وسلاما على سيدنا محمد الذى أنزل عليه القرآن فبلغه مصونا من النقص والتحريف والتبديل . وعلى آله وأصحابه الذين تلقوه عنه ونقلوا الينا رسمه ونظمه محلى بحلية الترتيل . (وبعد) فقد وفقت لان وقفت على الكتاب الموسوم بعنوان البيان . فى علوم التبيان لناسج برده . وناظم عقده . الاستاذ الاوحد . العلم المفرد . العلامة الفيلسوف . من هو بكل جميل موصوف : الشيخ محمد حسنين ابن المغفور له الاستاذ الاكبر الشيخ حسنين محمد مخلوف . فألفيته روضة تحقيق فى محاسنها يتنافس المتنافسون . وبحر علم منه يغترف العلماء العاملون . جمع فيه الى جمال المبانى . جلال المعاني . وضمنه ثمرات المطولات . وحلى به جيد المختصرات . فكان عنوان البيان وآية العرفان . وهدية الزمان الى بنى الانسان . ولا غرو أن سرح الطرف فى هذه الرياض يبتغى ثمرها فدنت له قطوفها . أو غاص هذه البحار يروم درها فتسابقت اليه صنوفها . فهو فارس الميدان . ورب الفصاحة والبيان . نفع الله به وبما كتب فى كل زمان ومكان . انه على مايشاء قدير . وبالاجابة جدير .

كتبه محمد على خلف الحسينى

الشهير بالحداد شيخ المقارى المصرية

﴿ فهرست عنوان البيان فى علوم التبيان ﴾

صحيفه

﴿ مؤلفات حضرة المؤلف ﴾

١	اتحاف الوراد باشعة الاوراد للسادة الخلوتية	المطبوع
٢	الحاشية الاولى على شرح المقولات الحكمية	«
٣	الحاشية الكبرى على شرح المقولات الحكمية	«
٤	الافاضة القدسية فى بيان بعض الاصطلاحات الحكمية	«
٥	التصورات الاولية فى المقولات الحكمية	«
٦	شرح حديثين من صحيح الامام البخارى	«
٧	تعليقات على نخبة الفكر فى مصطلح الحديث	«
٨	تعليقات على رسالة العاملى فى الحساب والمساحة والجبر	«
٩	رسالة فى حكم زكاة الاوراق المالية	«
١٠	مدخل علم أصول الفقه	«
١١	عنوان البيان فى علوم التبيان	«
١٢	القول الوثيق فى الرد على أدعياء الطريق	«
١٣	رسالة فى حكم ترجمة القرآن الكريم وقراءته وكتابته بغير اللغة العربية	«
١٤	القول الجامع فى الكشف عن مقدمة جمع الجوامع (اصول)	تحت الطبع
١٥	شرح المورد الرحمانى في التوحيد والتصوف	«
١٦	الفصول الوفيات فى احكام المعاملات	

مطبوع

١٧ شرح نصيحة الذاكرين للعارف بالله تعالى سيدى احمد شرقاوى

١٨ المطالب القدسية فى الروح وانواع تعلقاتها وآثارها الكونية «

١٩ لباب الصبوح فى سر تحريم الدم المسفوح «

٢٠ رسالة فى حكم اخراج الزكاة طعاما وثبوت هلال رمضان بالتلغراف والاستصباح فى المساجد بالشموع والشحوم الواردة من البلاد الأجنبية

٢١ القول المبين فى حكم المعاملة بين الاجانب والمسلمين

٢٢ الرحلة المهمة فى ازاحة الرين عن قلوب الامة

٢٣ تعليقات على الافاضة القدسية (حكمة)

٢٤ المقالة الفيحاء فى أولية خلق النور والهباء

٢٥ كشف الغطاء عما ورد على السنة الادعياء من كلام الاصفياء

٢٦ رسالة فى شرح الصلاة الكمالية

٢٧ رسالة فى مبادىء الفنون

٢٨ الفوائد الحسان فى الكلام حال جلوس الامام على المنبر والترقيه والآذان

٢٩ التبيان فى حكم زكاة الاثمان

٣٠ رسالة فى سكر النهر الاعظم

٣١ رسالة فى فضائل ليلة النصف من شعبان

٣٢ الجواب القويم فى ان الصلاة الفتحية ليست من كلام الله القديم

٣٣ الاجوبه المرضية عن الاسئلة الشامية فى استعمال الذهب والفضة والملابس الحريرية